

# وقال بينهما الموج

رواية



محمد علي الدباسي

HELL

2020

# وآال بئنهال المول

رواية

مآمل علي الالباسي

1442هـ - 2020م

الكتاب : وحال بينهما الموج

المؤلف : محمد علي الدباسي

الطبعة الأولى 2020

ISBN : 978-91-89273-27-6

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية :

2020-09-28-16-41

الناشر: رقمنا الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، فاسترا جوتالند

هاتف : 0046790185518

البريد الإلكتروني : [digitizethearabicbook@hotmail.com](mailto:digitizethearabicbook@hotmail.com)

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

للتواصل مع المؤلف

بريد إلكتروني: [maldubasi@gmail.com](mailto:maldubasi@gmail.com)

تواصل اجتماعي: m19aldubasi





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



## الرواية :

التاسعة مساءً.. كل شيء ليس على ما يرام، فالليلة ليست ممطرة كعادة ليالي شتاء ديسمبر الباردة، ولا الشاطئ تُسمع أمواجه كعادته كل مساء، وكأن كائناته هجرته فأصبح هادئًا بلا حراك.

وكانه أراد الإنصات إلى شيء ما.

كانه أراد الهدوء للاستماع إلى ذلك الأنيق الذي يجلس أمامه مباشرةً، فكان ذلك السكون حتى يبدأ ذلك الشاب حديثًا يحكي فيه ما أصابه.

يحكي ما ألم به في هذه الحياة.



الهدوء لا يعني أبدًا اللا شيء.

قد يكون فراغًا صنعه أحدهم لينتظر منك أن تملي ذلك الفراغ.

قد يكون انتظارًا إلى شيء ما.

قد يكون عتابًا.

وقد يكون غيابًا.

نعم، غيابًا للروح لا يريد به الحضور بين من هم حوله، وإن بدا الجسد حاضرًا بينهم.

كل شيء هنا يدعوا للاكتئاب، فلا قمر يضيء المكان، فالشهر الهجري مازال في أوله، بعكس ذلك الشاب تمامًا والذي يبدو بملامحه البائسة، رغم أناقته، وكأنه شارف على نهايته.

كان ينظر إلى البحر بنظرة انكسار مستسلمًا لكل شيء.

لا أمل.

لا شيء يدعوا إلى تفاؤل.

ولم التفاؤل؟!!

هل له مكان في قواميس حياتنا؟

هل له مكان في هذا العالم الذي أصبحنا نعاني فيه ومنه؟

بل هل خُلِقنا لكي نعاني فقط؟

نعم لتتفاعل، لكن هنالك من يحرمننا من أن نحلم بذلك التفاعل  
فضلاً من أن نعيشه.

يحرمننا من ذلك التفاعل وكأنه وُجد لفئة دون غيرها.

لما نحرم من ذلك؟

نحرم من أن نتفاعل، ومن أن ننبي على ذلك التفاعل أحلامنا  
وطموحاتنا؟

نعم سنكون واقعيين في أحلامنا وطموحاتنا، ولن نطلب ما هو  
فوق إمكانياتنا، المهم أن لا نُحرم من حقنا في أن نتفاعل، وفي  
أن نحلم بتحقيق عيش كريم.

هل أنت متفائل يا مرجان؟

ماهي طموحاتك؟

ماذا تتمنى؟

هل تستطيع تحقيق ذلك؟

هل تملك ما يعينك لتحقيق ما تريد، أم أنهم حرموك

أنت أيضاً من أن تتفاعل أو تحلم؟

هل من حقي أن أحلم؟

بل هل من حقي أن أعيش؟

هكذا كان مرجان يخاطب روجه.

يخاطبها ويتأمل البحر.

كم هو جميل حديث النفس.

كم هو رائع أن نخاطب أرواحنا ونحدثها، وكم نحن بحاجة إلى ذلك.

إلى أن نستكشفها ونعرف أسرارها، وما تريد.

نعاني دائمًا من الملل في أماكن الانتظار.

نعاني من الملل لأننا لم نصادق أنفسنا ونتحدث معها، ثم نقول بعد ذلك أننا لم نفهم أنفسنا.

لم نفهم ما نريد، ونعيش في دوامة من التوهان.

نسير في هذه الحياة ولا نعرف أين الطريق، وإذا وجدناه فإنه طريق لا نعرف نهايته، لأننا لا نعلم من أين كانت بدايتنا، ولماذا نحن نسير؟

هكذا نحن دائمًا مع أنفسنا.

ما بك يا مرجان؟

مالي أراك حزينا؟

هل تفكر في أمر ما؟

كلمات سمعها مرجان من صديقه رستم القادم من خلفه.  
أجابه مرجان بنبرة قوية: لا.. فلم يكن يريد أن يُشعره بحزنه،  
ثم أكمل حديثه معه:

رستم، من قال لك أنني هنا؟

- كنت متأكدًا من أنني سأجذك هنا، فهو مكانك المفضل  
دائمًا.

لما أنت هكذا؟

لا تظن يا مرجان بأن الإعلان الذي نشرته في  
الصحيفة سيجلب لك زبائن.  
إن ما تفعله هراء.

نعم هراء.

لا تظن أنك ستجني شيئًا من ذلك الهراء.

لم لا تهاجر؟

الأعمال كثيرة في أوروبا، والمستقبل مضمون هناك.  
ماذا ستفعل هنا؟

هل تريد أن تغلق على نفسك باب منزلك؟ أم أنك

ستلتحق بالجيش؟

- رستم، ما بك؟

هل أخبرتك بحاجتي إلى المال؟

هل أهاجر الآن في ظل هذه الظروف وما تمر به

البلاد؟

لقد تحدثنا عن ذلك كثيرًا.

- أنت عنيد كعادتك يا مرجان.

أنا صديقك منذ الطفولة، وجارك، وأعرف كل شيء

عنك.

ماذا ستستفيد بمكوئك هنا؟

كيف ستنفق على أهلك؟

لو لم تبادر إلى السفر فلن يساعدك أحد.

ستكون نهايتك الملاجئ.

أنت شاب ذكي وفطن، أتعجب كيف ولماذا لا تتصرف

بحكمة في هذا الأمر؟

- أنا لا أفكر مثلكم يا رستم.

أنتم تهربون، نعم.

لا تريدون أن تواجهوا واقعكم أبدًا.

- أي واقع يا مرجان؟

هل هذا واقع؟

إنه كابوس.

لقد قتلوا أحلامنا، لم يعد لنا حتى بقايا من كرامة.

ليس لنا هنا سوى انتظار الموت.

في كل يوم نعاني ونتألم.

نحن كما نحن، لا يتغير حالنا إلا للأسوأ.

أستاذك، فلدي موعد هام مع مندوب مكتب الهجرة.

أرجوا أن تفكر جيدًا يا مرجان.

ذهب رستم، لكن مرجان بقي في مكانه.

بقي أمام البحر.

نعم، ذلك البحر الذي أصبح رقيقًا ليس لمرجان فقط، بل لكل

شباب وفتيات المدينة.

لكل من به ألم.

ذلك البحر الذي يستمع إليهم.

يرمون إليه بهمومهم، فلا يرد عليهم إلا بصوت أمواجه.

صوت أمواجه لغة لا يفهمها إلا من هو صديق للبحر.  
إلا من أَلِف البحر، ونثر دموعه عليه.  
تلك الدموع التي اختلطت بماء ذلك البحر، فتفاعل معها، وكانت  
تلك الأمواج.  
هي تسلية لذلك الحزين، أو تلك المسكينة.  
هي إجابة لتلك الدموع المنهمرة منهم، والتي يقذف بها البحر  
بعد ذلك بعيدًا إلى وسطه.  
إلى قلب البحر..  
بل إلى أعماقه.  
كم هو حزين ذلك البحر لحزن مرجان، وحزن مرتاديه.  
بل إلى حزن أهل مدينته.  
مدينة خير آباد في غربستان.  
تلك المدينة التي يحرسها البحر ويعرف ساكنيها جيدًا.  
أخذ مرجان يتأمل..  
أخذ يفكر مرة أخرى:

إلى متى سيستمر هذا الوضع؟  
متى سينتهي؟  
متى سنرتاح؟  
إن الأمر يزداد سوءًا.  
لا، لن أهاجر.  
لن أترك أهلي ووطنني.  
لقد ولدت في غربستان، وسأموت فيها.  
ماذا عن الغد؟  
ماذا عن أوروبا؟  
ماذا عن الجهة المقابلة من البحر؟  
ماذا عن أخوي أبي رحمه الله من الرضاعة؟  
بل ماذا عن كل أهل شرقستان؟  
هل مازالوا يشعرون بنا؟  
ألم يشتاقوا إلينا؟  
لقد كنا شعبًا ووطنًا واحدًا فيما مضى..  
نتحدث لغة عربية واحدة، ومازلنا رغم محاولات  
طمس هويتنا العربية من قبل الذين لا يفكرون إلا  
بمصالحهم.  
أولئك الذين قسمونا إلى شطرين.



إلى متى سنستمر هكذا؟  
إلى متى سنعاني؟  
وحدتنا وهويتنا أهم من مخططاتهم.  
إلى متى يحكمنا هؤلاء الذين لا يهتمون ولا يفكرون  
إلا بمصالحهم؟  
لا ينفذون إلا إملاعات من الخارج.  
لقد غسلوا أدمغة البعض منا وأنسوهم هويتهم،  
وادمجهم في مخططاتهم مقابل حفنة من المال.  
يكفينا معاناة.  
يكفينا فرقة.  
يكفينا تضييع لهويتنا وديننا.  
يكفينا ظلم.  
كم أتمنى أن نعود دولة واحدة.  
بل لنعد كلنا أمة واحدة، لا يهزنا أحد.  
إنها أحلام.  
فقط مجرد أحلام.  
لم أسافر قط.  
تمنيت أن أسافر بالطائرة.  
لا، بل بالباخرة، فأنا أعشق البحر.

لا يهمني دواره، ولا يهمني غدره.  
لم يقولون بأن البحر غدار؟  
هل ظن البشر بأن البحر مثلهم؟  
إننا نجلس بجواره كل يوم فيذهب عنا همومنا.  
إنه يستمع إلينا ويحادثنا.  
نعم، إنني أفهم حديثه.  
أفهم لغة البحر.  
لم هو ساكن الآن لا يتحرك؟  
هل من أجلي؟  
ينتظرنى أن أتحدث؟  
ماذا عن أعماقه؟  
هل هي ساكنة الآن كسطحه؟  
إن السطح لا يعبر دائمًا عما في الأعماق، فكم من  
هادئ يغلي في داخله.  
كم من ابتسامة تحمل في داخلها مأساة.  
إننا غالبًا نظهر ما لا نشعر لتستمر الحياة.  
هل حقًا ستستمر الحياة برغم وجود كل تلك الأحزان؟  
لو لم يكن الأمر كذلك إلى أين يذهب البؤساء؟  
أين مكانهم؟

بل أين مدينتهم؟  
كيف حال مدينة الأحران؟  
إنني أتأملها كل مساء.  
أطير إليها.  
إنها ليست كما يظن الناس.  
هي جميلة رغم ملامحها البانسة.  
رغم ملابس سكانها البالية.  
أهلها يشعرون ببعضهم رغم وحدتهم، ورغم صمتهم  
الرهيب.  
بحرهم ساكن لا يتحرك.  
مدينة برغم ظلامها الدامس لا يغيب عنها القمر،  
وكأنه يواسي ساكنيها بنوره ليعوضهم غياب الشمس  
عنهم.  
لم لا تشرق شمسهم؟  
هل لأن شروق الشمس حياة جديدة حُرّموا منها ليبقوا  
في حزنهم؟  
هل شروق الشمس ذهاب لتلك الأحران؟  
هل بشروق الشمس سننسى الأمس؟

ماذا فعل شروق الشمس بأصحاب الأحزان هنا في هذا العالم؟

لم يكن شروق الشمس تفاؤلاً، ولم يكن حياة جديدة لهم هنا.

لقد خدعونا بأن شروق الشمس يوم جديد ينبغي أن نتفاعل به وننسى الماضي، فالأحزان ليست بحاجة إلى شمس تشرق لتذهب بل إلى حلول لتذهبها.

هل الحزن بؤس؟

هل من يملكون حزناً هم أناساً بؤساء؟

البؤساء بحاجة إلى شفقة، والحزين في مدينة الأحزان هو من يشفق علينا.

البائس بحاجة إلى أن تساعد، والحزين حزن لأن كل شيء ليس على ما يرام.

حزين لأنه يريد أن يساعد غيره، أو أنه يريد أن يكون وأن يقدم لنكون.

أو أنه حزن لأن هنالك نقص ما حاول إكماله ولم يستطع.

إذاً هو يحاول، والبائس شخص عاجز.

الأحزان ليست بؤساً لكنها مشاعر راقية وصادقة.

أوقف تفكيره صوت رسالة من هاتفه جواله أثارت ضجيجًا  
وسط هذا الصمت الذي لم يتجرأ حتى ذلك البحر على إثارة  
الضجيج فيه.

نظر إلى الهاتف.

رسالة من رقم غريب!

إنه من بلد مجاور!

البلد الذي أمامنا في الجهة المقابلة من البحر.

إنها رسالة من شرقستان.

ليتني ذكرت مليون دولارًا، لا، بل ليتني ذكرت السلام  
لبلدي.

يا ترى ماذا يريد؟

قطع البحر بصوت أمواجه التي تحركت فجأةً انشغال مرجان  
بالرسالة، فتركها واستمع لتلك الأمواج.

لم يكن مرجان شخصية غير مبالية، فعادته الاهتمام بكل شيء.

بأدق التفاصيل.

حالته ليست غريبة هذه الليلة، فهو كذلك مشاعر مختلطة تثير  
التعجب!

يهتم لدرجة اللامبالاة.

يركز حتى الشتات.

حزين في لحظات فرحه، وبيتسم في شدة ضيقه.

صبور في عز انفعالاته.

لديه روح طفولية رغم نضوجه الفكري.

مرجان شاب طيب جدًا ومحبوب بين أهل حيه، حاصل على درجة البكالوريوس في القانون من جامعة خير آباد، ويهوى الرسم، ولذا هو رسام بارع ذاعت شهرته في أماكن كثيرة.

أحزنه ما وصل إليه الحال في بلاده، فالأوضاع المعيشية أصبحت صعبة للغاية في بلد هويته عربية خالصة تعرض لانقلاب عسكري دامي في شرقه نتيجةً لسياسة سلطان البلاد السيئة، نتج عنه تقسيم البلاد إلى نصفين ليعيق تقدمه، وليعيد ذكرى استعمار بريطاني قديم، لكنه هذه المرة بعملاء يحكمون البلاد لا بوجود غربي فاضح.

إنها خديعة يخدعون بها الشعوب ويُدفعونهم ثمنها.

أخذ مرجان هاتفه مرة أخرى قام بفتح تلك الرسالة:

السلام عليكم.. هل أنت الأستاذ مرجان؟  
هل يمكنني التواصل معك بخصوص إعلانك؟

تأمل الرسالة.. فكتب مباشرة:

على الرحب والسعة أستاذي.

ما هي إلا ثواني بل أقل، وتأتي من المرسل رسالة ردًا على رسالته:

ولكنني فتاة أستاذ مرجان.

- لا يهم أستاذتي كنت فتاة أم شاب، فأنا في خدمتك.
- شكرًا لك أستاذي.
- أردت الحديث معك بخصوص إعلانك عن بيع لوحاتك، وأرغب بشراء مجموعة من تلك اللوحات.
- أنا سعيد أستاذتي أن يتزين منزلك بلوحاتي.
- لا، ليس الأمر كذلك أستاذ مرجان، وإن كنت بالتأكيد سأضع إحدى تلك اللوحات في منزلنا، لكن لأنني أريد أن أتاجر ببيع تلك اللوحات، فأنا سأخذها منك بسعر، ثم أعرضها عندي في متجر الإلكتروني بسعر آخر.
- حسنًا، ليست لدي مشكلة في ذلك، وسأحسب لك اللوحة بسعر جيد.

أربعون دولارًا للوحة الواحدة.

- ماذا تقول أستاذ مرجان!؟

أربعون دولارًا مبلغ كبير جدًا.

لنقل خمسة عشر دولارًا، وأعتقد أنه مبلغ مجزي،

خاصة وأنني قد أشتري كل لوحاتك.

إنني هنا في شرقستان أعرض تحفًا نادرة عبر حسابي

في الانستغرام، وكما تعلم فإن شرقستان دولة كبيرة،

وتجارية، ومتطورة، ولدي كذلك عملاء حتى من

خارج شرقستان، وأحببت أن تكون لوحاتك من ضمن

ما أبيع، وسيكون بالتأكيد عليها توقيعك واسمك، وهذا

بالتأكيد سيشهرك أكثر.

إنك رسام رائع لا تقل عن إليزابيث لويز، أو فريدا

كاهلو، أو حتى عن فان جوخ ومايكل انجيلوا.

- طالما أنني لا أقل عن فان جوخ ومايكل انجلوا فلماذا

خمس عشرة دولارًا؟

ما رأيك لو تعرضيها في متجرِك ولكِ نصف الربح؟

- لا، إن هذا كثير، لو وجدت من يشتري لوحاتك بأكثر

من خمسة عشر دولارًا أخبرني.



سأنتظر منك رسالة، وهذا أيضًا حساب متجري في  
الانستغرام لتطلع عليه.  
- حسنًا، سأرد عليك خلال يومين.

انتهت المحادثة بين مرجان والفتاة، وأصبح مرجان في حيرة  
من أمره.

لا يدري ماذا يفعل.

وإلى أين يذهب.

لقد عرض لوحاته في أماكن كثيرة ولم تجلب له سعرًا جيدًا،  
فالأوضاع هنا ليست على ما يرام، والناس في غربستان فقراء  
همهم البحث عن لقمة عيشهم، فلا مجال لشراء التحف  
واللوحات، وهو كذلك لا يستطيع أن ينشغل بوسائل التواصل  
لعرض لوحاته في الأسواق الخارجية، وكذلك لا بد له من  
متابعين كثير قبل ذلك.

نعم، ليس لديه متابعين كثير، فقد أصبحنا في زمن يبحث الناس  
فيه عن التافهين دون المبدعين.

دون أصحاب المواهب والمتقنين.

كن تافهًا وستجد الجميع يبحث عنك ويتابع ما لديك.

إنه زمن تغيرت فيه أشياء كثيرة وليس من السهل أن ينجح من يملك محتوى مفيد أو تجارة طيبة إلا ما ندر.

وأيضًا، وفي ظل الظروف الراهنة في غربستان لن يجد وقتًا جيدًا للعرض عبر وسائل التواصل، ولذلك هل يوافق على عرض الفتاة؟

إنها تستطيع أن تبيع لوحاته، فلديها متابعين يفوقون المائة ألف، وحسابها متميز ومخصص لبيع التحف النادرة، فهل يقبل بعرضها والذي فيه بخس للوحاته؟ أم أنه يصبر لعله يجد مخرجًا لما هو فيه؟

إن عقل مرجان به الكثير من الهموم، وليست لديه قابلية لإضافة موضوع آخر للتفكير والبحث، فيكفي ما هو فيه.

إنها الحياة التي أرهاقته كثيرًا وما زال في بداية عمره، حاله حال الكثيرون هنا في غربستان.

انتظرت الفتاة اليومين بفارغ الصبر.

نعم، كانت ترغب بموافقة مرجان، فهي بالتأكيد تعرف معنى أن تبني لوحات مرجان، وتعرف كم هو مبدع، لكنها كذلك لا بد وأن تكون تاجرة ذكية تعرف كيف تشتري البضائع بأرخص الأسعار، لأنها تريد أن تبني نفسها وأن تصنع لها اسمًا تجاريًا.

كانت تبحث دائمًا عن ثمة ضوء ليكون لها أمل.

كانت تبحث عن ذاتها يمنةً ويسرة، رغم أنها من أسرة تمتلك المال للحصول على ما تريد.

تريد أن تكون وتتحدى هذا العالم.

أن تتحدى ظروفها ونفسها قبل كل شيء، فقد قالوا لها يومًا:

**لن تكوني شيئاً..**

**أنتِ كغشاء السيل.**

**أنتِ فتاة لن تقدم أو تؤخر.**

كانوا يرونها فتاة مدللة لا أكثر، وكانت ترى نفسها فتاة ستصل يومًا نحو ما تريد تحقيقه.

نحو أحلامها التي حلمت بها وعزمت على أن تصبح حقيقة.  
إنه الطموح ولا شيء غيره.

وكيف لا يكون للطموح مكانًا عند تلك الفتاة الذكية جدًا.

تلك الفتاة المجتهدة والحاصلة للتو على درجة البكالوريوس من كلية التجارة في جامعة شرقستان، وها هي ستبدأ بعد شهر دراستها للحصول على درجة الماجستير.

تلك الفتاة التي تعيش في شرقستان، الدولة التي انفصلت يوم الانقلاب المشؤوم قبل أكثر من خمسة عشر عامًا، وأيد ذلك العالم وأقر بانقسام البلاد إلى نصفين، في مسرحية مدروسة للقضاء على عربستان.

نعم، كان اسمها عربستان، وكان ذلك الانقلاب بدعوى أن الجزء الشرقي تضرر من ظلم الجزء الغربي له.

إنهم عملاء أرادوا الانفرد بذلك الجزء الشرقي ورسم هويته الخاصة، ثم الانقضاض على خيرات الجزء الغربي بعد ذلك.

إنهم لا يريدون لعربستان أن تكون قوية ولا غيرها من بلدان المنطقة، فقوتها هنا ستكون خطرًا كبيرًا عليهم كما يظنون.

إنها سياساتهم التي دمروا بها الأوطان، ثم يتهمون من يريد أن يكون لوطنه قيمة بأنه السبب في ذلك.

رغم قلق الفتاة إلا أنها كانت واثقة من موافقة مرجان لها.

إحساسها يقول لها ذلك، وقبل كل ذلك ثقته بنفسها، وأنها قد تعودت على كسب المفاوضات بأي ثمن، وأنها إذا أرادت أن تصل إلى شيء فستصل إليه بالتأكيد، ولذلك هي تدري لماذا هي واثقة من أنه سيوافق، لكنها لا تدري لما هي مهتمة اهتمامًا مبالغًا فيه بموافقته؟

لما هي متلهفة لذلك؟

نعم هو مبدع.

هو رسام بارع.

هو متميز عن الكثيرين.

هو مكسب للمتجر، ورغم ذلك تستطيع أن تتفق مع آخرين متميزين، فلماذا هو بالذات؟

لماذا مرجان دون غيره؟

لماذا ازدادت رغبتها بعد محادثته، رغم أنها لم تراه؟

فقط رأيت بعض لوحاته وسمعت عنه، وفاوضته بمحادثة مختصرة.

بعض الأسئلة ليست بحاجة إلى عقولنا لنبحث لها عن إجابة، هي فقط بحاجة إلى اعتراف العاطفة وإقرار القلب.

في صبيحة يوم جميل، وبعد يومين بالضبط من رسالتها،  
وبينما كانت الفتاة تساعد والدتها في تنظيف المنزل إذ بهاتفها  
يصدر صوتاً بوجود رسالة.

تماماً نفس ذلك الصوت الذي سمعه مرجان وهو على شاطئ  
البحر.

أسرعت وتركت كل شيء.

توقفت، ثم قالت في نفسها:

**لعله مرجان قد وافق أن يبيعي لوحاته.**

**سأقرأ رسالته عندما أنهى عملي مع أمي.**

عادت الفتاة إلى أمها وأكملت تنظيف المنزل.

ذلك المنزل الذي انتقلت إليه مع أسرته منذ سبع سنوات.

منزل جميل، لكنها عانت فيه كثيراً.

تألمت فيه كثيراً، فقد عاشت فيه سنةً من الوحدة عندما مرضت  
والدتها وسافرت إلى العلاج في ألمانيا، وسنة أخرى من الألم  
عندما سجن والدها بسبب مشكلات مالية أثرت عليهم وعلى

وضعهم إلى أن خرج وعاد من جديد، لكن كل ذلك صنع منها  
فتاة قوية.

فتاة تتحمل المسؤولية.

فتاة صابرة وعنيدة.

من يراها لا يشعر بأن ثمة حزن يسكن داخلها.

هكذا هي دائماً، مجموعة من المشاعر المتضادة والراقية.

فتاة تميل إلى الوحدة، ورغم ذلك لديها صديقات أكثر من كل  
مكان تفاخر بهن.

فتاة لا يستطيع أحد فهمها بسهولة، فهي تخفي الكثير والكثير،  
فلا يشعر بها أحد.

هي عميقة جداً.

تفرح بحزن، وتحزن حد الضحك.

تشارك الجميع أفراحهم، وتنسى لحظات السعادة، وتقف معهم  
في أحزانهم، ثم تعود لغرفتها تبكي وحدها.

كريمة جداً، لكنها لا تتخلى عن حقها أبداً.



تحب التطوع ولا تأخذ مقابلًا على ذلك، رغم أنها تاجرة ذكية تؤمن بأن لكل شيء ثمن، تريد أن تصنع لها مكانًا في عالم المال.

لا تستسلم، ولا تشعر باليأس، لكنها تمل بسرعة.

فتاة رغم المواقف الكثيرة التي تعرضت لها في حياتها لكن تلك المواقف جعلت منها قوية تجابه الحياة كما ذكرنا.

فتاة اختارت التجارة مهنة لها لأنها ترى بأن المال أصبح اللغة الرسمية لهذا العالم.

**سأصبح فتاة غنية تصنع نفسها بنفسها ولا تحتاج لأي أحد مهما كان.**

كانت تقول ذلك لوالدها دائمًا.

لا تريد أن تتألم وتقاسي في موقف ما، ولا أن تخونها قلة خبرتها ودرابيتها في يوم ما، ولذلك هي لا تثق بعمل أحد، وتريد أن تبني ثروتها وتحافظ عليها بنفسها، لأنها فتاة علمتها الأيام.

هي الصغرى لأب مقتدر وأم رائعة وثلاثة أشقاء هم لها الدنيا، وهي لهم فتاة شقية لا يرفضون لها طلبًا.

بعد أن انتهت من مساعدة والدتها فتحت الثلاجة خلسة لتأخذ مشروب الطاقة المفضل لديها.

دخلت غرفتها خلسة كذلك، وكم من الأشياء التي نحبها ونفعلها خلسة في حياتنا ولا نريد لأحد أن يعرف عنها شيئاً.

أشياء نفعلها ونريها غيرنا، وأشياء أخرى كثيرة نخفيها.  
لم نخاف ذلك؟

نخاف من أن يعرف الناس عنا أشياء كثيرة في حياتنا؟  
هل هو خوف من حسد؟

من خطأ ما قد نفعله ويجعلنا نشعر بعدم الثقة بأنفسنا؟  
أو هو خوف من كلام الناس؟

ولم ذلك طالما أن هنالك أمورًا لا تستحق كل ذلك؟  
أم أننا نحب أن نكون بعيدين منفردين في زوايا الحياة؟  
أمسكت بهاتفها مرة أخرى وفتحت الرسالة:

مارأيك أن يكون نصيبك الثلث، ولمتجرك الثلث،  
بمعنى أن لكِ ثلثين ولي الثلث.

قرأت تلك المحادثة وابتسمت، وأرسلت رسالة:

موافقة، الثلث لك، والثلث كثير.

تتهدت وارتمت على سريرها وأغمضت عينيها.

غلبها النوم، فكم هو مرهق عمل المنزل بالتأكيد، وما أجمل النوم خاصة عندما نهرب من أعمالنا أو حتى مما يؤذينا.

في هذه اللحظات كان مرجان في حيرة من أمره.

تفكيره في الوضع الذي آل إليه الناس هنا في غربستان سيطر عليه.

نعم هو يثق بربه.

بفرجه.

لكنه حزين.

حزين جدًّا، فالوضع أصبح لا يطاق في غربستان، فلا مكان هنا لكرامة إنسان.

لا مكان هنا لصناعة مستقبل، وأي مستقبل سيقبل أن يكون حاضرًا لماضي نحره قبل أن يأتي؟

نعم إن حاضره ينحر كالنعاك كل الطرق التي تؤدي إلى ذلك المستقبل.

لذلك المستقبل الذي يحلم به كل أبنائه.

هذا الحاضر الذي أصبح بعبءًا لهم.

هذا الحاضر الذي سلبهم بسمتهم وجماليات الحياة.

غلاء أسعار في مجتمع قل من يعمل فيه وكثير من يعاني منه.

مجتمع لا مكان فيه لحرية التعبير أو حتى للروح بما يضايقهم  
وما يعانون منه، ورغم ذلك لا بد لهم من أن يرددوا: كل شيء  
على ما يرام في زمن الجوع يقهر الرجال.

الكثير من الأسر هاجر شبابها إلى أوروبا بحثًا عن طوق نجاة  
لهم ولأسرهم من خلفهم بحثًا عن كرامة، ورغم ذلك هو لا يريد  
أن يرحل.

أخذ يفكر، ويفكر:

ماذا عساي أن أفعل؟

كيف أنفق على أسرتي؟

لقد هاجر الكثير من أصدقائي بحثًا عن فرصة أفضل.

هل أهاجر؟

أهاجر من أين؟

من وطني؟

من المكان الذي نشأت فيه؟  
من الأرض التي كبرت عليها؟  
وهل قسى عليّ الوطن حتى أتركه؟  
وحتى لو كان قاسياً فإني أحبه.  
بل لا بد لي أن أحبه وأقدم له كل شيء، ولذلك أنا  
أعشقه وأعشق تربته.  
صديقي رستم قال لي ذات يوم بأنه يحب وطنه، لكنه  
يستعد الآن إلى الهجرة بعدما اتفق مع أحد المكاتب  
على ذلك.  
وبندر كذلك هاجر وهو الذي بكى يوم أن فاز منتخبنا  
الوطني بكأس القارة قبل ستة عشر عاماً.  
يوم أن كنا أطفالاً في الثامنة من العمر.  
نعم، يوم أن كان اسمنا عربستان.  
يوم أن كان البحر يجمعنا ولا يفرقنا.  
يوم أن كان لنا أناس في شرقستان يجمعنا بهم وطن  
واحد، واسم واحد، ونسب واحد، ودم واحد، ولغة  
واحدة.  
يوم أن كانت أمواجه ساكنة لنرى بعضنا من الجهة  
الأخرى.

لقد خدعوهم.

نعم لقد خدعوا الشرقستانيين بتأمين حياة كريمة لهم  
أفضل من حياتهم السابقة من أجل أن يباركوا  
الانفصال.

كلهم هنا في غربستان يحبون وطنهم لكنهم خرجوا  
منه.  
غادروه.

وهل يغادر المرء مكانًا أحبه وأرضًا عشقها؟  
هل هم خونة لأوطانهم؟ أم أن الوطن هو من خانهم؟  
أخذ يفكر ويفكر حتى سمع صوت هاتفه يخبره بوجود رسالة:  
إنها من تلك الفتاة:  
لقد ردت:

موافقة، التلث لك، والتلث كثير.

ابتسم مرجان مباشرة وقال في نفسه:

كم أنت عنيدة.

ثم أرسل إليها رسالة:

إذًا نتحدث عن التفاصيل.

عندما أرسل إليها مرجان تلك الرسالة كانت الفتاة مستلقية على سريرها قد غلبها النوم، لكنها ما إن استيقظت من غفوتها حتى قرأت الرسالة.

قرأت الفتاة الرسالة ثم كتبت إليه أن يرسل لها صورًا من لوحاته الجديدة لتعرضها في متجرها، وعندما يطلب العملاء إحدى تلك اللوحات ستطلب منه أن يرسلها لها عن طريق مكاتب الشحن، ثم ستغلفها هي وترسلها للعميل، واتفقا أن تدفع هي مصاريف الشحن طالما أن متجرها سيستفيد الثلث من المبيعات.

اتفقا على هذه الطريقة في التعامل، وكم كانت سعيدة جدًا بهذا الاتفاق.

نعم سعيدة، فوجود لوحات مرجان في متجرها بذلك الجمال وتلك الروعة سيرفع من شأن متجرها.

سيزيد من مبيعاته بالتأكيد.

مرجان ذلك الشاب الذي ذاعت شهرته في شرقستان كلها قبل عام يوم أن رسم لوحته الشهيرة والتي كان يشير فيها إلى انفصال شرقستان عن غربستان.

تلك اللوحة التي أبكت أهل شرقستان قبل أهل غربستان.

تلك اللوحة التي كانت غايةً في الروعة والجمال والألم.

لوحة خاطبت مشاعرهم، وكم كانت مشاعر الكثيرين منهم حزينة بسبب ذلك الانفصال، فالكثير منهم لم يتمنوا الانفصال رغم أن منهم من أيد ذلك بسبب وعود بحياة أفضل، لكن من كان يهتم لأراء الشعوب؟

استلمت الفتاة صور بعض اللوحات ووضعتها في حسابها بعد التنسيق مع مرجان.

سعد مرجان بذلك، ومما زاد سعادة مرجان والفتاة هو أنه ما إن عُرضت إحدى لوحات مرجان في الحساب حتى تم شراءها بمبلغ بمائة وخمسة وثلاثون دولارًا.

طلبت الفتاة من مرجان بأن يرسل إليها اللوحة التي اختارها العميل حتى يتسنى لها إرسالها للعميل.

أجابها مرجان لذلك، وطلب منها عنوانها في شرقستان:

و ما هو العنوان يا ...؟

- فيروز..

اسمي فيروز.



- أتعجب كيف مضت الأيام ولم تعرف اسمي بعد؟
- لم أسألكِ احتراماً لرغبتك، فلعلك لا تريدين الإفصاح حتى باسمك، وعلى العموم فيروز اسم جميل ورائع.
  - شكراً لك، و شكراً لاحترامك كل ذلك، لكن الموضوع بسيط جداً، ولعل انشغالنا بالاتفاق وبالرسومات أنساني حتى تعريفي باسمي.

نعم، لقد كان يحترمها جداً.

كان يراها فتاة محافظة وخلوقة جداً رغم عنادها له في المفاوضات.

كان يحترمها، وكانت هي كذلك تقدره وتجله.

أخذ مرجان عنوان فيروز لإرسال الشحنة إليها، لكن حدثت مفاجأة لم يتوقعها أي منهما:

- وما هو العنوان واسمك كاملاً يا فيروز حتى أسجل البيانات كاملة على الطرد الذي سأعطيه إلى شركة الشحن؟

- العنوان هو شرقستان - العاصمة - شارع الشهيد

نوري علي - فيلا رقم 23.

واسمي فيروز يامن ألمير رجائي.

- يامن ألمير رجائي؟

- نعم، هذا اسم أبي.

- هل أنتِ ابنته؟

- نعم، هل تعرفه؟

- إنه أخ لأبي من الرضاعة يا فيروز.

أبي هو نيروز زيان إلهامي.

- ماذا تقول يا أستاذ مرجان؟!

- نعم، لقد ولد أبي في شرقستان قبل الانفصال، وماتت

أمه أثناء ولادته، واهتمت به وأرضعته السيدة إيرام،

وهي أم والدك، ومكث في منزلهم إلى أن بلغ ست

سنوات وعاد بعدها إلى غربستان مع جدي، والذي

كان يعمل عند جدك والد أبيك.

كانت العلاقة جيدة بين أبي وأبيك، وكان أبي يذهب

إلى شرقستان بين فترة وأخرى لزيارة أبيك وعمك

أياز، إلى أن ساءت يوم الانقلاب الكبير الذي نتج عنه

انفصال شرقستان عن غربستان، وحينها تشاجر

والدك مع أبي وطرده من منزلكم.

كم كنت أتمنى أن ألتقي بوالدك، فليس لدى أبي رحمه الله إخوة، ووالدك وعمك أياز هما أخواه الوحيدان من الرضاعة.

لم ألتقي بهما أبدًا ولا أعرفهما.

هذا ما أعرفه، وكم أتمنى أن ألتقي بهما، لكن لم أكن أعتقد أبدًا أن يتحقق ذلك، فأبي طوال عشر سنوات حاول أن يعيد العلاقة بينه وبين أخويه لكن دون فائدة، إلى أن توفي في الجيش رحمه الله مدافعًا عن غربستان.

إنها مفاجأة غريبة، وصدفة لم تكن في الحسبان.

- أمتأكد أنت يا مرجان؟

- نعم، تمامًا.

- إنها مفاجأة بحق، وكأنها قصة من الخيال.

لم أكن أتوقع أبدًا أن لي أبناء عمومة غير أبناء عمي أياز.

إنها صدفة غريبة حقًا، وكم أتمنى أن أصلح الأمور وأعيد المياه إلى مجاريها، وسأسعى لذلك لا تقلق يا مرجان، وإنه لمن الجميل أن أتعرف على ابن عم لي

لم أكن أعرف عنه شيئاً، فكم أنا سعيدة بذلك، وكم كنت سأسعد أكثر لو التقيت بعمي نيروز رحمه الله.

- أشكرك كثيراً، وكم هي صدفَة جميلة أن أتواصل مع أبناء عمومتي بعد كل هذه السنوات.

- هل لديك إخوة يا مرجان؟

- نعم، لدي شقيقتان.

روشان وجمانة.

- رائع.

وأنا كذلك لدي ثلاثة أشقاء.

جعفر، وألمير، وإلياس، وعمي أياز لديه ابن اسمه أنمار، وابنة اسمها إيرام.

أخذهما الحديث عن أسرة كل منهما، ثم انتهى الحوار بعد ذلك بكل ما فيه من علامات تعجب وبقصة لم يتوقعها أي منها.

فعلاً هو أمر مفاجئ أن يحدث ذلك.

ليس بالسهولة أن يصدق أي منهما ذلك، لكنها الحقيقة والتي كان ولا بد وأن تظهر في يوم ما، فالعالم اليوم أصبح قريةً صغيرة.

انتهى الحوار، وشحن مرجان اللوحة إلى فيروز، والتي شحنتها بدورها إلى العميل الذي حول المبلغ إلى حسابها، لكن عقل فيروز لازال يفكر:

هل حقًا ذلك؟

هل صحيح ما ذكره مرجان؟

كيف لي أبناء عمومة آخرين لا أعرف عنهم شيئًا، ولا حتى أشقائي يعرفون عنهم.

لماذا لم يخبرنا والدي عن ذلك الأمر.

لماذا لم تتحدث معنا أمي عن ذلك، ولا كذلك عمي أياز؟

لا بد أن أعرف حقيقة ذلك .

أرادت فيروز أن تتقصى في الأمر، فلعل هنالك سوء فهم ما قد حدث.

أرادت فيروز أن تفتح والدها في الأمر.

لعلها تتحدث معه الليلة.

انتظرت عودته.

بل انتظرت نهاية الأسبوع، فهو يعود كل يوم مرهقًا من عمله.

في ليلة الجمعة وبعد أن تناولوا طعام العشاء، وبعد أن انشغل الجميع بأمورهم، اقتربت فيروز من والدها وسألته:

أبي هل لديك أخ غير عمي أياز؟

- لا، لماذا؟

- ولا من الرضاعة؟

هنا تغير وجه والدها وأجاب بعصبية:

لا..

لماذا تسألني يا فيروز؟

- لقد سألتني عنك شاب من مدينة خير آباد بغربستان

اسمه مرجان، يقول أن والده واسمه نيروز زيان

إلهامي أخوك من الرضاعة.

أجاب والدها بغضب:

نيروز زيان إلهامي، لقد كان أبوه زيان إلهامي خادمًا

يعمل لدينا وأكرمناه.

لا تذكريني بذلك.

إن كان نيروز قد رضع معنا فقد توفيت من أرضعته.

إنه لا يقدر معروفًا.

لا تذكره أمامي أبدًا.

هكذا أجاب والد فيروز ابنته عندما سألته عن عمها من الرضاعة.

لقد كان مرجان صادقًا فيما قاله لها من أنه ابن عمها من الرضاعة، ومن أن هنالك مشكلة.

كانت تريد أن تعرف أبعاد تلك المشكلة وأسبابها، ولذلك قررت أن تسأل والدتها عن الأمر بعد إعراض والدها عن ذلك. كانت والدتها تعرف كل شيء.

أخبرت فيروز، لكن طلبت منها ألا تعلم أحدًا حتى أشقائها. قالت لها بعد أن أدخلتها غرفتها:

نعم هو أخ لوالدك، وكذلك لعمك أياز من الرضاعة، وأنتم كنتم أطفالًا صغارًا لا تعرفون شيئًا، وإن كنتم قد رأيتم عمكم نيروز فإتكم لا تتذكرونه أبدًا. في إحدى المرات حضر عمك نيروز لزيارتنا كعادته كل ثلاثة أشهر، وفي تلك الزيارات، وأثناء جلوسه مع والدك وعمك أياز في غرفة الاستقبال كان التلغاز على نشرة الأخبار، وتم إذاعة خبر الانقلاب في الجزء

الشرقي من عربستان والذي نقيم فيه نحن الآن، وتم تسميته بشرقستان، وتسمية الجزء الغربي بعد ذلك بفترة بعربستان، فغضب عمك نيروز، وشم قادة الانقلاب حينها، وتوعدهم بالانتقام، خاصة وأن نيروز كان جندياً في الجيش العربستاني، مما أغضب والدك وطرده من المنزل، فقد كان يرى والدك أن عمك نيروز لم يُقدر أنه قد ولد ورضع وتربى في شرقستان، وأن والده قد عمل في شرقستان وأكل من خيراتها، وأنه عندما شتم شرقستان وقادتها فإنه بذلك لا يحفظ المعروف، وبالتالي لا يستحق أن يكون أخاً لهما.

من ذلك اليوم وأبوك يعتبره ابن ذلك الذي كان يعمل لديهم، لأن والده كان يعمل عند جدك في المنزل. حاول بعد ذلك عمك نيروز إصلاح ما بينه وبين والدك وعمك أياز لكن دون فائدة، فقد كان والدك غاضباً أشد الغضب منه، خاصة وأن عمك نيروز شارك مع الجيش العربستاني بعد ذلك في بعض المعارك ضد شرقستان.



تألمت فيروز مما سمعته من والدتها.

هي الآن لا تدري لم تصرف والدها هكذا مع عمها نيروز،  
فعل هنالك شيء ما أثر على ذلك.

هي الآن لا تدري كيف ستصرف.

لا تدري ماذا ستفعل؟

كيف تخبر مرجان بما حدث، وما هو رأي والدها عن والده؟  
تركت كل ذلك جانباً، وفي نفس الوقت عازمت على أن تصلح  
الأمر وتعالجه مع مرور الأيام بقدر ما تستطيع، فرغم كل شيء  
مرجان هو ابن عمها.

أما مرجان فإنه مازال من ذلك الوقت يفكر بسعادة رغم القلق  
الذي يحيط به:

أخيراً وصلت لأبناء عمومتي.

لم أكن أعلم أنه لدي أبناء عمومة.

أكاد لا أصدق!

كل ما أعرفه أن لدى أبي فقط أخوين من الرضاعة.

هل يا ترى ستعود العلاقات بيننا؟

كم أتمنى ذلك، وأخشى أن يحدث ما يؤثر على ذلك  
ويزيد الأمر تعقيداً.

أخبر والدته بالأمر، ولكنها لم تتحمس كثيراً لذلك.

هي تعرف أن والد فيروز رجل يصعب التفاهم معه.

هي تعرف كذلك أن يامن وأيازي لم يقبلوا أبداً بأخوة زوجها لهما،  
وأن فيروز رغم كل ذلك كان يودهما.

كان يزورهما ويحسن إليهما.

كان يامن أيازي يظن أن فيروز يريد بمودته لهما أن يقاسمهما  
في الإرث، أو أن يناله شيئاً من ذلك، رغم أن الشرع يقول أنه  
ليس له نصيب في ذلك طالما أنه أخ لهما من الرضاعة، ورغم  
أن فيروز لم يفكر في ذلك إطلاقاً أو يطلب منهما حتى مساعدة  
رغم ظروفه.

كانت مشكلة شرقستان والانفصال سبب فقط افتعلاه من أجل أن  
تنتهي علاقتهما به لا أكثر.

أخبرت والدة مرجان ابنها مرجان بذلك، وأخبرته كذلك بأن لا  
يتحمس كثيراً للأمر حتى لا يصطدم بهما، فهو ولدها الوحيد مع

شقيقتيه روشان وجمانة، لأن والد فيروز له علاقات جيدة، ومن كبار تجار شرقستان.

تعجب مرجان مما سمعه من والدته.

لم يصدق أن يكون الأمر كذلك.

أخذ يفكر ويفكر إلى أن قرر ألا يفتح فيروز بالأمر مرة أخرى حتى لا يخرجها مع والدها، بل أنه قرر كذلك أن يخبرها أن الأمر قد يكون تشابهاً في الأسماء لا أكثر لو فاتحته بالأمر مرة أخرى وأحرجته.

في المقابل فإن فيروز عزمت كذلك على أنها لن تخبر مرجان بردة فعل والدها حتى لا يتأثر من ذلك، لكن الذي كان يقلقها هو أنه بماذا سترد عليه لو سألها عن ذلك؟

بماذا ستجيب؟

كيف ستكون ردها، وهل سيقتنع به؟

أخذت تفكر في ذلك الأمر إلى أن قررت أن تخبر مرجان بأنها لم تجد الوقت المناسب للحديث مع والدها عندما يسألها، إلى أن تجد حلاً لتلك المشكلة.

مضت الأيام واستمر التواصل بين مرجان وفيروز، واستمر  
في الحديث عن أعمالهما دون أن يفتح أي منهما للآخر  
موضوع أنهما أبناء عمومة من الرضاعة.

كانا يتحدثان بحذر، فكل منهما كان يخشى أن يبدأ الآخر  
بالحديث عن ذلك، ولذلك كان تركيز حديثهما يدور حول الرسم  
وحول بيع اللوحات.

استمر عرض اللوحات، واستمر الاقبال من قبل العملاء على  
اللوحات بين فترة وأخرى، وبأسعار ترتفع تارة وتنخفض قليلاً  
تارةً أخرى.

أسبوع وتم بيع لوحة أخرى، ثم يومين وتباع لوحة ثالثة، ثم  
أسبوع وهكذا..

كانت اللوحات هي أكثر ما تبيعه فيروز في متجرها بالإضافة  
لبعض التحف المميزة.

مع مضي الأيام استعاد كل منهما ثقته أمام الآخر، وكأنهما نسيا  
موضوع قرابتهما من الرضاعة.

أصبحا يتحدثان بطلاقة أكثر وكان شيئاً لم يكن، لكن في داخل كل منهما الكثير والكثير، ففيروز مازالت تتحين فرصة من هنا أو من هناك لتعالج الأمر مع والدها، أو على الأقل لتكشف الكثير من الخيوط، فعمل الأمور تتصلح عندما تتضح لها بشكل أكبر.

أما مرجان فإنه يتمنى لو تتحسن الأحوال بين أسرته وبين عمه يامن وعمه أياز دون أن يؤثر ذلك على فيروز، وبين كل ذلك استمر مرجان وفيروز بالتراسل يومياً، فيتحدثان عن بيع اللوحات، وكيف يطوران العمل فيما بينهما، ويتحدثان كذلك في كل شؤون الحياة الأخرى، وأحياناً لا يتحدثان في أمر اللوحات أصلاً.

كانت المراسلات تطول بينهما في بعض الأيام، فعرف عنها الكثير وعرفت عنه أكثر.

أصبحت تحدّثه عن شرقستان.

عن جمال تلك البلاد الساحرة وتفاصيلها.

عن التطور العمراني والصناعي الكبير الذي شهدته البلاد في السنوات الأخيرة.

عن الجهة المقابلة للبحر..

نعم، ذلك البحر الذي يجلس مرجان أمامه دائماً، وتجلس فيروز كذلك في الجهة المقابلة له، وشتان ما بين الجلستين.

من يجلس لبيث همومه، ومن يجلس ليستنشق هواءه.

مرجان وفيروز يمثل كل منهما شباب وفتيات المكان الذي ينتمي إليه كل منهما ويفصلهما بحر، و رغم الفارق ما بين الجلستين إلا أن شوق العبور إلى الجهة الأخرى هو ما اتفقا عليه أخيراً وخطر في بال كل منهما.

شوق لا إلى شيء، لكن إلى روح تجلس أمام ذلك الشاطئ المقابل .

أحبا بعضهما بصمت.

شعور صامت لم يخبر أحد منهما الآخر عنه، تماماً كما ساد الصمت الحديث من أنهما أبناء عمومة.

شعور بدأ ينمو يوم عن يوم، شهد عليه البحر وحفظ سره، ولم تبح به أصوات أمواجه.

ذلك البحر الذي شهد على فراق شعبيين لم يتوقع أهل شرقه ولا أهل غربه في يوم أن يكون شاهداً عليهما بعد أن كان شاهداً لهما.

هل غدر بهما البحر وفرق بين الشعبيين بعد أن اطمئنا لوجوده بينهما، أم أنهما من أخلف وعدهما لذلك البحر أدارا بظھريهما عنه؟

تفرقا فكان شاهداً عليهما لا أكثر.

لم يكن ذلك البحر هو الجاني في يوم.

لم يكن المتسبب فيما حدث لهما.

لم يقرر أن يكون انفصال بينهما.

لم يشارك في الانقلاب، ولم يخطط له.

لم يكتب فراق، ولم يحرك أمواجه احتراماً لهدوء أراده أن يسود بينهما.

لم نلوم المكان والزمان وننسى أننا من فعل ذلك؟

أننا من جنى بحق نفسه وغيره؟

أننا السبب؟

نهرب من اتهام أنفسنا، والاعتراف بأننا مذنبون، لنلقي اللوم على أقرب شماعة، وما أجمل تلك الشماعة لو كانت لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

ما أجمل تلك الشماعة لو كانت مخلوقًا أضعف منا، والأجمل لو كانت لا تستطيع الحديث.

لو كانت المكان أو الوقت.

الوقت لم يتغير، والمكان هو المكان.

والبحر هو البحر.

بحر له جهتان لم يظن يومًا أنهما سيستغلان وجوده بينهما ليفترقا.

يعتذران بدخوله حياتهما ليقولا أنه كان السبب.

أنه الجاني.

وهل حقًا كان السبب؟

هل دائمًا وجود طرف ثالث يكون سببًا لفراق؟

لم لا نبحث عن الأسباب الحقيقية؟

لم لا نسأل أنفسنا؟



شيء ما في أعماقنا أراد ذلك.

لم لا نعترف بحقيقة الأمر؟

لم نُكذب كل شيء يقول أننا من أراد ذلك؟

أننا من قرر الابتعاد.

أصبحنا بلدتان تجتمعان في الهوية، وتختلفان في كل شيء، أو  
أن إحداهن أرادت أن تختلف.

أرادت أن تخلع ثوبها حتى لا تتشابه مع الأخرى.

حتى تتظاهر بالغرابة وتقطع الرحم.

استسلمت لمخطط الانفصال أو هي أرادت ذلك يوم أن دُعيت  
إليه.

يوم أن خدعوا ساكنيها بعيشة هنية.

بأنها ستكون أفضل لو كانت لوحدها.

أصبحتنا جهتان لا تشعران ببعضهما.

متنافرتان، ورغم كل ذلك كان هنالك قلبين قد ألفا بعضهما.

قد اتفقا.

قد التقيا بلا موعد.

عشقا بعضهما بصمت، والصمت قد يكون الايجاب، بل هو  
إيجاب.

هو إعلان.

هو صوت عالي لا يسمعه سواهما.

للقلوب لغة لا يفهما إلا من أسرها ورضيت بأسره.

لغة بين اثنين.

نعم، لقد كان إعلاناً صامتاً بينهما.

إعلان حب دون اعتراف، ودون إقامة سفارات بينهما.

هو تخرج من إعلان ذلك، وهي تكابر من أن تعترف بذلك،  
لكن لا بد من أن يخرج ذلك للعلن.

من سييوح بذلك؟

من سيعلن ذلك؟

هل سيذهب الحرج عن مرجان، أم أن حب فيروز سيغلب  
كبريائها؟

وهل لا بد للحب أن يخرج للعلن؟

ماذا لو بقي في قوقعته؟

يقولون بأن الحب الذي لم يُعلن عنه يكون جميلاً وهادئاً، وهو أجمل مراحل الحب.

لو كان كذلك إداً لماذا نحرص على البوح به؟

على إعلانه؟

هل نعلنه لأننا نظن أنه بذلك سيزداد جمالاً؟

أم أننا نستعجل نهايته بذلك الإعلان؟

استمرت المحادثات بينهما، واستمر بيع اللوحات يزداد فترة عن الأخرى، و استمر الصمت عن الحديث من أنها أبناء عمومة، ومضت الأيام.

مضت سنة بكل تفاصيلها الجميلة، فعرف عنها الكثير وعرفت عنه أكثر.

كان يبادرها كل يوم بصباح الخير.

لم تكن صباح الخير تحية عادية.

لم تكن عابرة.

لم تكن لأجل إخبارها بحضور الصباح.

كانت اطمئنان.

كانت إخبار بأنني هنا من أجلك.

كانت صباح الخير تعوضه عن صعوبة النطق بكلمة حب .

عن صعوبة النطق بأنني مشتاق إليك، وكانت فيروز تسعد  
كثيرًا بصباح الخير.

كان يأتيها الكثير من صباح الخير من زميلاتها وصديقاتها،  
لكنها كانت تنتظرها من مرجان.

كانت تنتظرها منه، وكانت تطير بها فرحًا، ولم تكن تُشعره  
بذلك.

هي تحبه، لكن كبريائها يرفض إظهار ذلك الحب أو الاهتمام.

مضت سنة بكل تفاصيلها الجميلة مع فيروز وبيعها للوحات،  
والدخل الجيد لمتجرها وبالتالي لمرجان.

مضت سنة لكن الوضع يزداد سوءًا في حياة مرجان، بل في  
بلد مرجان.

في غربستان.

لم يفكر سلطان البلاد بتحسين أوضاعهم، فهذا حاله منذ أن كان  
سلطانًا حتى على كل عربستان بنصفيها الشرقي والغربي.

لم يفكر طالما أن كل شيء على ما يرام، وما يرام ليس  
المقصود به هنا، بل هناك في قصره وبين حاشيته.

أليس هو وحاشيته من يسهر على راحة الشعب؟

أليسوا هم من يُنعموهم بالأمن والأمان والنوم بسلام؟

من حقنا كمسؤولين أن نستمتع بملذات الطعام  
والشراب ليعيننا ذلك على تحقيق النوم الهني والأمان  
لذلك الشعب.

هم، من هم؟!

الشعب؟

إنهم لا يفهمون ولا يقدرّون أننا نتعب لإسعادهم.  
أنا نسهر على راحتهم.

كم ضحينا بأوقاتنا من أجلهم.  
من أجل أن يناموا بسلام وأمان.  
عن أي طعام يتحدثون؟  
ألم ندعم رغيف الخبز من أجلهم؟  
عن أي كرامة يتحدثون؟  
ألا يكفيهم عزًا أنهم ينتمون إلى هذه الأرض؟

هكذا يردد المسؤولون دائمًا، وهكذا يعاني مرجان ومن على  
شاكلته من عامة الشعب.

معاناة مستمرة، ولكن رغم كل شيء يبقى الأمل، ولكن أين  
الأمل؟

**متى سنكون أفضل؟**

هكذا يردد الشعب دائمًا.

ومع هذا التردد هم بين ذلك الأمل المستقبلي وبين اليأس  
الحاضر والذي ينتصر باستمراره مع مضي الأيام، ورغم كل  
ذلك تمضي حياتهم بسعادة، فروح النكتة لا تغيب عن الشعب  
الغريستاني.

من رحم الألم تولد الابتسامات، ومن وسط المعاناة تُصنع المواهب.

ينظر بعضهم إلى بعض في ذهابهم ورواحهم.

يصبرون بعضهم البعض.

يتحدثون بصمت فالكلام بالتأكيد له ثمنه، ومن يقوى على دفع ذلك الثمن؟

من يقوى على تحدي النظام هنا أو إبداء الرأي؟

الكل في حاله، والهجرة هي الحل، فلا مجال للخروج إلى الميادين والاعتراض، وإن كانوا يتمنون ذلك للتخلص من النظام، وبالتأكيد مرجان أحد الذين يفكرون في ذلك، لكنهم يخشون من فشل محاولتهم، أو أن يندس بينهم الخونة، رغم أن ثمن ذلك وإن كان مؤلماً لن يكون أقسى مما يعانونه الآن، خاصة وأن النظام في البلاد قد تنبه لذلك وقام بعمل كل الاحتياطات اللازمة لإبطال ذلك، وحماية نفسه من أي تحرك شعبي، ولم يعلم بأن ما صرفه على كل تلك الاحتياطات من أموال لو كانت في تنمية البلد لكانت خير حامي لذلك النظام مما يخشاه، فالشعوب لا تواجه بالقمع بل بالتنمية.

كان الحديث عن الهجرة وأخبارها هي متنفس للكثير من الشباب هنا، والأسرة السعيدة هي التي ستلحق بابنها بعد أن يرتب لها كل شيء، فأجسادهم هنا وتفكيرهم هناك، ولا غرابة في ذلك طالما هم في غربستان.

طالما هم يقاسون الحياة بكل تفاصيلها.

حاول بعضهم ممن لم يستطع الهجرة إلى أوروبا من التسلل سرًا إلى شرقستان والادعاء أنه من أبناءها، ولن يكون ذلك صعبًا طالما أن الشكل واللغة والدم يقول ذلك، لكن كل تلك المحاولات كان مصيرها الفشل، فالسلطات في شرقستان تنبهت لذلك وأحكمت إغلاق الحدود حتى لا يتسلل أي غربستاني إليها، فهي بالتأكيد تريد أن تقطع كل ارتباط بهم.

إنها معاناة تفوق الوصف، وكيف لا تكون كذلك وهذا حال شعب فقد حاضره وجهل مستقبله.



حاولت فيروز أن تفتح أشقائها بقصة أبناء عمها مرجان وروشان وجمانة، لكنها خشيت من ردة فعلهم.

هم ودودون لكنهم يخشون والدهم كثيرًا، ولذلك لن يكون لهم قرار أو حتى محاولة، بل كانت تخشى من عدم تقبلهم للأمر من الأساس.

حاولت كذلك الحديث مع ابنة عمها إبرام، لكنها خشيت من تقلت لسانها، فهي معروفة بكثرة أحاديثها لمن هم حولها ولا تكتم السر بأي حال.

فضلت أن تصمت ولو لفترة بسيطة إلى أن تحين لحظة مناسبة للحديث، رغم أن الصمت يزيد من حيرتها ومن ألمها لكنه الأفضل في كل الأحوال، وهذا كان رأي والدتها، فهي بالتأكيد أعلم بكل شيء وبالحل المناسب.

كانت بحاجة لأن تتحدث مع أحد حول ذلك، ولذا أخبرت صديقتها المقربة جيهان بالأمر، والتي كانت ترى كذلك أن تصمت وتنتظر لعل الأمور تكون أفضل.

كانت تخبرها كذلك بمشاريعها مع مرجان، وكيف أنها حققت في فترة وجيزة مكاسب مادية جيدة.

كانت تخبرها أن تلك المكاسب ليست فقط بفضل اللوحات، ولكن كذلك بفضل توجيهاته لها في كل ما تتبعه في المتجر.

لقد غير مرجان الكثير من الأمور في حياتها للأفضل، وليست التجارية فقط، ولذلك كانت تخشى من أن عدم إيجاد حل للمشكلة بين الأسرتين قد يأتي بنتيجة سلبية على علاقتها المستقبلية مع مرجان.

كانت فيروز بالنسبة لمرجان هي عالمه الرائع والجميل الذي  
ينسبه كل ألم يعيشه في غربستان، وكان هو بالنسبة لها أملاً  
يزين مستقبلها وحلم تنام على تفاصيله.

كان مرجان يفكر بها دائماً في ذهابه ورواحه.

في لوحاته.

في غالب يومه.

كان يتمنى لو أنه يستطيع أن يخبرها بما في داخله.

بحقيقة مشاعره نحوها لكنه لا يستطيع.

لم يقوى على ذلك.

سيطر عليه الخجل وهذا أمر طبيعي بالتأكيد.

كان دائماً يخبرها بحياء في محادثاته عن تقديره لها.

عن مودته واحترامه لها.

عن أنه معجب بقدرتها على إدارة متجرها وشؤون حياتها.

عاد يوماً في المساء، فلم يمسك بفرشاته كالمعتاد، لكنه كتب لها

رسالة قال فيها:

فيروز..

لم أحياناً لا نستطيع أن نترجم الكثير عما يدور في داخلنا؟  
هل الاحاسيس هي أصعب اللغات؟ فقد كنت أظن أن تعلم اللغة اللاتينية هي  
الأصعب عندما حاولت ذلك ذات يوم.

كنت أظن كذلك بأن الاحاسيس لوحة أرسمها وأنسق ألوانها كيفما أشاء.  
لم أتخيل أن ذلك ليس بالأمر الهين.

هل هي فعلاً بتلك الصعوبة؟ أم أنني لا أجيد ذلك؟

أم هو خوف من ردة فعل أثق بها، لكن لا أتجرأ على إثارتها؟

التوقيع

مرجان

قرأت فيروز الرسالة..

قرأتها وكأنها لأول مرة تتعلم القراءة، فقد كانت تتهجي  
الأحرف كطالبة مستجدة في روضة أطفال.

كأعجمي يحاول إتقان العربية.

لم تقرأها لوحدها فقد شاركتها أذنيها القراءة.

نعم، فقد كانت تسمع صوت مرجان وهو يقرأ لها الرسالة وهي

تنصت له تارة، تسابقه القراءة بشفتيها تارة أخرى.

قرأت فيروز الرسالة ثم كتبت له:

مرجان..

نحن نسيطر على ما نملك ونروضه، تمامًا كفرشاة الرسم التي ترسم بها،  
فهي واللوحة والألوان تحت سيطرتك، بينما المشاعر لا نملكها رغم أنها  
خُلقت لنا لنعبر بها، لكنها الابن العاق لصاحبه، تخونه عندما يحتاج للبوح  
بها، فتبقى حبيسة في أعماقه، وتتوه به، وقد يكون ذلك سببًا في عدم قدرته  
على إظهار ما يخفي، وهنا تكمن الصعوبة والتي قد تكلف الكثير، ولذلك  
نحن بحاجة إلى شجاعة وقوة لإظهار ما في أعماقنا، وترك الخوف من ردة  
فعل كما قلت أنك تثق بها لكنك لا تتجرأ على إثارتها.

لا تتردد طالما أنك تثق بها، فردة الفعل هنا لن تخيبك أبدًا.

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان ردها وتوقف كثيرًا عند تلك العبارة:

### فردة الفعل هنا لن تخيبك أبدًا.

تلك العبارة التي قرأها مرجان وكانت غير كل العبارات.

لم تكن عادية، فقد غاص في أعماقها كما غاص في كل كلمات رسالتها التي زرعت البسمة على شفثيه رغم كل الألم الذي يحيط به.

مرت الأيام على غربستان وحدث ما لم يكن في الحسينان، أو ما قد حذر منه الشرفاء، فصوت الشرفاء هنا لا صدى له بين المفسدين، فهم لا يستمعون إليهم.

هم يتضايقون من نداءاتهم وتحذيراتهم، ولذلك يسعون دائماً لإلجامهم.

يسكتونهم بأي طريقة طالما أنهم لا يجيدون الغناء.

طالما أنهم لا يمجدونهم، ولا يبررون لفسادهم على أنه حنكة وبعد نظر.

نعم، لقد حدث ما لم يكن في الحسينان وانتشرت الحمى في غربستان بطريقة سريعة رغم تحذيرات الخبراء المطالبة بمحاصرة المرض.

أخذت في حصد الأرواح، ولم لا تحصدها؟

ألا تريد أن تأخذ هي كذلك نصيبها من تلك الغنيمة؟

الفقر والظلم والمستقبل المجهول كلهم أخذوا نصيبهم، والآن ها هي الحمى.

كل شيء هنا يدعو للطوارئ، بل هم كذلك من قبل أن تأتي إليهم الحمى.

بيوتهم تقول ذلك، فلو لا التصاقها ببعضها لسقطت، وكأنها تشد من بعضها بعضاً.

بيوت بسيطة في حي شعبي ترابي تتوسطها دكاكين وبسطات أطلق عليها مجتمعة مسمى السوق، يديرها أهل الحي أنفسهم الذين توارثوا تلك المحلات، فهي مصدر رزقهم الوحيد، ولذا تجدهم مع بزوغ نور الشمس من كل يوم يسارعون لفتحها، فتلعوا أصواتهم بنداوات الصباح والترحيب ليعزفوا مجتمعين سيمفونية لم يمنع الألم أن تكون بتلك الروعة التي جعلت حتى العصافير في أعالي تلك الأشجار التي زرعوها بجوار دكاكينهم لتكون لهم ظلًا يجلسون تحته أن تشاركهم التردد.

لم يعكر على تلك الدكاكين صفوها إلا موظفوا الجباية الذين أهلكوا أصحاب تلك الدكاكين والبسطات بمخالفات وإنذارات وجبايات بين فترة و أخرى فقط لأنهم أرادوا الحياة.

لم كل تلك الجبايات التي أرهقتهم؟



تلك الجبايات التي جعلت الكثير من أولئك الفقراء يتركون السوق ويهربون منه رغم حاجتهم إليه، أو أنهم يدخلونه بحذر ليعرضوا ما لديهم من بقايا أشياء وكأنهم سرقوها.

لم يزيدون من الألامهم؟

لم لا يشعرون بهم وبمعاناتهم؟

أين إنسانيتهم؟

لم على الأقل لا يعض أولئك الموظفون الطرف عن أولئك الذين يصارعون الحياة في الأسواق من أجل البقاء؟

لم لا يتركون لهم محاولة أن يعيشوا؟

ألا تكفي جراحاتهم؟

ألم يكن أولئك الباعة في يوم آباء وأمهات لأولئك الموظفين؟

مسميات تطويرية في ظاهرها لكنها للجباية، وكم دمرت من أسر كانت تفتتات من ذلك السوق، فهل التطوير أن يُحرم الإنسان من قوت يومه أو أن يطرد؟

في حينهم صوت أصغرهم مسموع، ووجعهم واحد، ليس لقربهم واختلاطهم ببعضهم فهذا مفروغ منه، لكن لشعور بعضهم

ببعض في حي يشعرون جميعًا أن مصيرهم واحد، فيكفي أن يصاب أحدهم بفايروس ليصل شعور ألمه إلى آخر بيت منهم.

### من فايروس؟

قالتها تلك العجوز المسكينة التي تتبع الفالوذا، تلك الحلوى العربستانية الشهيرة في وسط ذلك السوق.

قالتها لزبونها، ذلك الشاب ذو الهدام الجميل، وهي تحضر له قطعة من تلك الفالوذا عندما أخبرته بارتفاع درجة حرارة ابنها، فأجابها ذلك الشاب:

### لعل الفايروس قد أصابه.

لم تكن تعرف تلك العجوز ماذا يقصد ذلك الشاب بكلمة فايروس.

### ليس أمامهم إلا السلامة، وسيمضي ذلك المرض.

هكذا قالتها بكل بساطة لزبونها ذو الهدام الجميل، والذي يعمل في وسط المدينة في وظيفة حكومية، ويُدعى أستاذ مهدي.

تلك الوظيفة التي يعامله عليها أبناء حيه وكأنه وزير من الوزراء.

نعم، فمن يستطيع أن يصل إلى أن يعمل في مكتب حكومي من  
حي فقير في ظل تفشي الواسطات؟

في زمن المحسوبيات لا مكان للفقراء.

لماذا لا نلبس لها الكمامات لنعرف أنها خطيرة ومضرة  
بالمجتمع؟

لماذا فقط نلبس الكمامات من أجل كائنات دقيقة لا نراها وهي  
تفسد علينا صحتنا، ولا نلبسها لمن نراهم يفسدون مجتمعاتنا  
ويعيشون بيننا؟

هل لأن الأغنياء هم من يستفيد منها؟

هل لأن الفقراء هم فقط من يئن بسببها؟

من يئن من تلك الواسطات؟

كان أهل الحي يطرقون باب بيت الأستاذ مهدي دائماً من أجل  
أن يساعدهم في تعبئة استمارة، أو استخراج بطاقة بدونها لا  
تعترف الحكومة بإنسانيتهم فيعيشون على هامش الحياة  
ويصبحون صفرًا ليس لهم قيمة إنسانية، أو لينقلهم بسيارته  
الفارحة فقط في نظر أهل حيه إلى وسط المدينة بدلاً من ركوب  
الباصات.

إنهم بسطاء جدًا.

قالت السيدة العجوز جملتها ولم تكن تعلم أن ارتفاع حرارة ابنها ما هي إلا نتيجة لذلك الفايروس الذي تحدث عنه الأستاذ مهدي. كانت تستخدم الكمادات التي تغمسها في الماء البارد، وكم كانت تفرح بانخفاض حرارة ابنها للحظات ثم ما تلبث أن تعود للارتفاع من جديد.

هكذا حال أهل الحي، بل وأهل المدينة الذين لم يدركوا إلى الآن كم هي حجم المأساة التي تنتظرهم.

تلك المأساة التي ستضاف إلى تلك المآسي التي يعانون منها دائماً هنا في غربستان.

لم يشعروا بأن ذلك الزائر لن يكون عابراً، ولن يكون كذلك مألوقاً لديهم، رغم أن المؤلف لم تستطع عليه كعادتها مستشفيات المدينة القليلة بإمكاناتها البسيطة.

مضت الأيام والمرض يزداد انتشاراً، ولم يكن هنالك تحرك رسمي من قبل الحكومة، وكأنه أمر عادي، أو أنهم ليس لديهم ما يخسرونه، فماذا يعني لو مات ثلث الشعب أو نصفه؟

من حسنات الأوبئة أنها لا تميز بين غني و فقير و هذا ما حدث بالضبط، فما إن أصابت الحمى أصحاب الوجاهة والمال حتى بدأ الاهتمام بها يظهر إعلامياً وتُسلط عليها الأضواء.

حتى تلك العجوز اقتنعت الآن أنه فايروس من ردادات الفعل التي شاهدتها من حولها، وبدأ قلقها على ابنها.

من كثرة النصائح و التوجيهات.

من تلك المعقمات والأقنعة التي أصبحت توزع مجانًا من منظمات الصحة العالمية، في وقت كانوا يتمنون لو كانت تلك المعقمات خبزًا.

نعم، فالجوع أخطر من المرض، فالفايروس يمرضك ويجعلك لا تريد الطعام بينما الجوع يقتلك وأنت تبحث عن طعام.

أصبح الخروج للعمل أشبه بمغامرة لا بد منها، فمن سيجلب الطعام إلى المنزل؟

من يقنع الأطفال أن الحمى قاتلة؟

مطالبات بالمكوث في المنازل، ومن لا يريد المكوث، فليس هنالك ما يغري للخروج لكن لا بد من العمل.

كم هي صعبة هذه الأيام، وكم هي مؤلمة.

ألم الجوع، وألم التفكير فاقت ألم المرض.

أخذت الأحاديث تنتشر يمنةً ويسرة.

هل هو فعلاً وباء؟

هل هي مؤامرة عالمية؟

نظرية المؤامرة تسيطر على حياتنا، لكن لم لا يكون كذلك؟

ومن الذي يتآمر؟

حروب بيولوجية بين دول؟

ما شأننا نحن؟

هل حقًا نحن جزء من هذا العالم؟

من قال ذلك؟

لو كنا جزءًا من هذا العالم فلم لا نعيش كما يعيشون؟

لم لا تكون لنا جميعًا نفس القيمة؟

تطوع مرجان لمتابعة حالات المرضى، حاله حال الكثير من

شباب المدينة، وكعاداته أخبر فيروز بذلك.

نعم هي جزء من حياته يخبرها بكل شيء وكأنها هنا في

غربستان، فالمسافات ليست عائقًا أمام الحب.

يخبرها وكأنها في بيته، وكم يتمنى أن تأتي إلى بيته وتسكن فيه.

أن تكون جزءًا من عائلته، بل هي كذلك، يربطهما حليب واحد رضعت منه الأسرتين، وصدقًا كان يقولها في نفسه:

**ستتيرين بيتنا يا فيروز، كم أتمنى ذلك.**

آه يا مرجان لو تعلم بأن فيروز أيضًا تتمنى أن تكون معها هناك في شرقستان.

أن يعود شمل الأسرتين.

أن تأتي لتعيش حياة جديدة هناك.

تلك القطعة الثانية في الجهة الأخرى من البحر، لكنها تختلف بمبانيها الضخمة.

بناطحات السحاب.

بشوارعها الفسيحة ومستشفياتها الراقية.

بمصانعها العملاقة.

ليست كغربستان بالتأكيد، لكنها أختها العاقبة لها، ولولا شهادة البحر بأنهما أختان لما صدق ذلك أحد.

أختها التي نسيتها يوم أن تركتها واستجابت لدعوى الانفصال  
كما ذكرنا، لكنها بالتأكيد تتذكرها بين حين وآخر.

تتذكرها وتتذكر خيراتها، نعم، ففي باطن غربستان الكثير من  
المعادن الثمينة والتي لم تستخرج بعد.

**هي غداء الغد.**

هكذا يقول حكام شرقستان.

**نعم، فما فيها من خيرات لا بد أن يستخرج غداً، لكنها  
قطعاً لن تستمتع معنا اليوم بما لدينا.**

هي كذلك أطماع لكبرى دول العالم بالتأكيد، والذين سعوا  
لانفصالهما ليستفردوا بها يوماً، لكن شرقستان التي انفصلت  
عنها ترى بأن الأقربون أولى بالمعروف، ونسيت أنها قد تؤكل  
يوم أكل الثور الأبيض.

إنها مصالح والكل يطمع لتحقيق مصلحته الشخصية على  
حساب الضعيف أياً كان ذلك الضعيف.

حتى حكام غربستان يهتمون بمصالحهم الشخصية وبقائهم على  
حساب بلدهم، ولا بأس أن يأكل حلفاؤهم من تلك الدول العظمى



من خيرات غربستان طالما أنهم سيجدون منهم الحماية لو حدث لهم ما يضرهم في يوم ما.

هكذا هم دائمًا، وهكذا هي الخيانة بكل أركانها.

مشكلة البعض أنه لا يريدون أن يفهموا، والسبب هنا يعود لدناءتهم أو لخوفهم.

يعود لدناءتهم لأنهم لا يريدون أن يفهموا بأن شعوبهم لن تثور عليهم طالما هم يعملون من أجل الارتقاء بها.

ويعود لخوفهم لأنهم لا يريدون أن يفهموا بأن قوى العالم لا تستطيع مهما بلغت من عنفوان أن تتحكم بمصيرهم طالما هم يعملوا ليتطوروا.

طالما هم متحدون مع شعوبهم.

طالما يعدون أنفسهم ليكونوا أحرارًا غير تابعين لأحد، وأن غير ذلك يعني أنهم سيبقون تحت جبروت تلك الدول ورحمتها.

آه يا مرجان.. كم تعاني أنت وأمثالك في وسط كل ذلك.

في صبيحة أحد الأيام، وبعد ليلة متعبة بين أنين المرضى استيقظ مرجان على صوت أنين أخته، فذهب مسرعًا إلى غرفتها كي يتفقدتها.

نعم، لقد أصيبت أخته روشان كذلك بتلك الحمى.

كم كان وقع ذلك مؤلمًا على أسرة مرجان.

بين تلك الأمراض وذلك الأئين تأتي تلك الملامات على من مرض.

نلوم المرض وصاحبه ولا نبحث عن أسبابه، وعندما نبحث عن تلك الأسباب نقول لم يأكل جيدًا فمرض.

لم ينم جيدًا فمرض.

لم يعمل بالاحترازات فمرض.

ولم نسأل، لماذا لم يأكل؟

بل من أين له أن يأكل؟

وكيف له أن ينام؟

لماذا لم يحمي نفسه؟

من سبب كل ذلك؟

تلك الأسئلة التي جهلها الشيخ آزاد خطيب جامع ذلك المسجد المجاور لمنزل مرجان، والذي اكتفى بأن هذا الوباء هو نتيجة عصيان الناس لربهم فابتلاهم.

أنتم من أخطأ.

بسبب ذنوبكم.

تستحقون ذلك، ولن يذهب حتى تعودوا إلى ربكم.

هكذا كان الشيخ آزاد دائماً مع كل قضية.

كل شيء على هؤلاء المغلوبين.

هم سبب كل بلوى.

بسبب ذنوبهم وتقصيرهم.

نعم الذنوب والتقصير سبب، لكن لا يستغل ذلك لمصلحة من

أكل حقهم وتسلب عليهم.

لا يكلف نفسه بالبحث عن الأسباب الحقيقية الأخرى، لأن

الحقيقة هنا قد تغضب من وضعه.

لأنه يفكر بمرضاة من وضعه، ولا بأس لو كان الثمن قليلاً من

الدين.

يخبر هؤلاء المغلوبين بنعمة السمع التي وهبها الله لهم ليسمعوا

ويطيعوا، لكن لا يذكر لهم البتة أن الله أعطاهم عقولاً ليفقهوا

وليفكروا بها.

هل سبب ذلك أنه لا يشعر بمعاناتهم؟

هل أنسته مجالسة السلاطين حياة أولئك البسطاء؟

هل يخشى أن يفقد نعيم تلك المجالس؟

هل يخشى من ذهاب وظيفته؟

وهل الفتوى وظيفه يديرها السلاطين؟

هل نسي أن يخبر السلاطين بما يعانيه الناس؟

ألم يذكرهم بحقوقهم تجاه شعوبهم، أم أن التذكير للبسطاء فقط؟

لم لا يكون مثل إمام الجامع الآخر الشيخ علي، والذي تطوع

لخدمة هؤلاء المرضى؟

ذلك الشيخ الذي كان عوناً لهم، والذي كان جزءاً منهم ويتكلم

بمعاناتهم.

الذي كان صوت معاناتهم حين صمت الجميع عنهم.

الذي كان ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

الذي لم ينافق ولم يداهن على حساب دينه.

بالمناسبة أين الشيخ علي؟

صحيح أنه اختفى ولم يُرى له أثر، لكنه موجود في قلب كل  
غربستاني، بل وكذلك الشرفستانيين الذين لم يكونوا يرغبون  
بالانشطار، والذي تكلم الشيخ علي عن أضرار ذلك الانشطار  
كثيراً، رغم التحذيرات التي كانت تأتي إليه من الحديث عن  
ذلك.

فعلاً، كل شيء ليس على ما يرام، وليس المرض فقط.

إنها معاناة ما أنتجت لهم إلا فقراً وجهلاً، وها هي الآن تجلب  
لهم مرضاً، والمرض بالتأكيد ليس هو كل شيء.

نعم، أبداً ليس هو كل شيء.

لنعد إلى ذلك المرض الذي أصاب أخت مرجان، وأصاب  
غربستان، بل وشرقستان، وها هو الآن يجوب العالم كله.

يجوب العالم ولا يفرق بين هذا وذاك، لكن هذا وذاك بالتأكيد  
اختلفوا في طريقة مواجهته.

في كيفية التصدي له.

منهم من اهتم بالإنسان، ومنهم وإن كان متقدماً ويدعي احترامه  
لحقوق الإنسان واجه المرض بما يوافق مصالحه ولو على  
حساب ذلك الإنسان.

ليس شرطاً أن تكون ديكتاتورياً لكي لا تهتم بالإنسان، فيكفيك أن تكون ممن ينظر إلى الأمور بحسابات المال والمكسب والخسارة في زمن نسينا أن بناء الإنسان هو أعظم المكاسب. أن الإنسان هو رأس مال الأوطان.

إنها أزمة عالمية بالتأكيد لم يسلم منها أحد، بل هنالك من استغلها لتبرير فشله في إدارة بلاده، فبقدر ما كان الوباء ألباً بقدر ما كان طوق نجاة لنظام غريستان الفاسد، والذي وجد في المرض شماعة له.

حتى أولئك الناس الذين لديهم رصيد جيد من مستلزمات الحياة والمال وجدوا في الوباء فرصة لهم للمكوث في المنازل مع فرض حظر التجول الذي فرض عليهم، فلقد كان فرصة جيدة لهم للابتعاد عن صخب الحياة، والجلوس مع النفس والاستمتاع بأجواء المنزل التي فقدوها مع التزامات الحياة.

إنها أزمة لم يذق ألمها سوى البسطاء، ولم يعاني منها غيرهم. وقف مرجان ينظر إلى أخته وهي تتألم في مشهد يتكرر في كثير من بيوت المدينة هنا، وشاهدها مرجان في طوافه على تلك البيوت في حيه.

كم من طفل، وكم من طفلة.

كم من شيخ كبير، وكم من عجوز.

كم من شاب، وكم من فتاة.

لا صوت يعلو على صوت الأنين.

حاولت والدة مرجان تخفيض درجة حرارتها دون فائدة.

حاولت كذلك ببعض العلاجات الشعبية والتي لم تفلح كذلك، فكان لا بد من المستشفى، خاصة مع وجود ألم في بطنها لا يُعرف سببه.

كانت تمسك بطنها بقوة وتصرخ، حتى أنها تناست أمر تلك الحمى التي أصابتها.

صحيح أن الألم الذي في بطنها يدعوا للقلق لكنه أمل!

نعم هو أمل، فمهما كان حجمه قد يكون هذه الأيام أقل خطرًا من تلك الحمى، ورغم كل شيء فارتفاع حرارتها دلالة حمى لم تسلم منها بالتأكيد.

أحياناً قد يأتي الأمل على هيئة ألم، أو قد يكون ذلك الألم مواساة بإشغاله لنا عن آلام كثيرة في حياتنا أشد قسوة.

يجعلنا نتوقف لننشغل به ونترك الدنيا بكل آلامها وأحزانها.

كان مرجان مترددًا بدايةً من ذهاب أخته إلى المستشفى، بسبب أن العلاج قد لا يكون متوفرًا بسبب أزمة الحمى المنتشرة هذه الأيام وإمكانات المستشفى البسيطة، لكن مع إصرار والدته ذهب بها إلى المستشفى.

عمارة متهالكة تعلوها لوحة كُتب عليها المستشفى الوطني كانت كافية لإخبار المارة بوجود مستشفى هنا.

دخل مرجان مع أخته.

بدا المستشفى وكأنه منطقة عزل حالات الحمى لا أكثر، فهو أشبه بفندق دون حتى نجمة واحدة يستضيف نزلاء ليقدم لهم وجبة طعام واحدة عبارة عن مسكنات وقليل من شوربة الخضار الساخنة، فقد تفرغ لمتابعة حالات الحمى وانتظار معونات منظمة الصحة العالمية، فهي الوحيدة إلى الآن التي تدخلت في شؤون البلاد بشكل إيجابي أو هكذا ظهر لهم، وترك علاج بقية الأمراض للمستشفيات الخاصة لتتولى مباشرتها، وتناسى ذلك المستشفى أنه لم يهتم بعلاج كل الأمراض في سابق أيامه، فقد كان أشبه بمن يوزع مواعيد متباعدة على



مرضاه للتأكد من قدرتهم على تحدي المرض وكأنهم في  
مسابقة المستشفى حكم لها.

لم يكن الوضع مغرياً للبقاء.

فكر مرجان بالذهاب بها إلى مستشفى السلطان الأعظم في  
العاصمة، فهو أفضل حالاً، ولعله أن يأتي لها بنتيجة.

كان لا بد له من أن يذهب بها إلى العاصمة ليعرضها في ذلك  
المستشفى كما فعل بعض الناس هنا، أو بمعنى أدق القليل منهم،  
ولكن أين المال للذهاب؟

ذلك السؤال الذي أصبح في فكر الكثير من الناس هنا.

في فكرهم رغماً عنهم، وما أقسى من أن يفكر الإنسان في شيء  
لا يرغب في التفكير فيه ولكن لا مفر له من عدم التفكير في  
ذلك.

مؤلم كذلك أن تفكر في شيء لن يأتي، أو من الصعب أن  
يتحقق، وكيف له أن يتحقق ومعطياته ليست بين أيدينا.

ليست حولنا، لكن التفكير هنا ينعش أملاً وإن كان يستحال أن  
يتحقق.

بالتأكيد ليس كل أهل غربستان يفكرون في ذلك، فهناك بالتأكيد من يتمتع بالمال الوفير، لكنها طبقة لها مستواها المعيشي المميز والخاص.

عالية القوم لا يشعرون بالبقية.

تراهم فلا تشعر بأن للفقر سبيل هناك.

أخذ يفكر بألم.

خطر على باله أن يستدين بعض المال ممن حوله، لكنه تذكر أنه من أكثر أهل حيه مألًا خلال هذه الأزمة، فقد كان يملك منذ يومين خمسة دولارات كانت في جيبه.

أخذ يفكر ويفكر ولا جدوى.

لقد أصيبت ابنة جارتهم قبل فترة بالحمى ولم تستطع جارتهم الذهاب إلى العاصمة بابنتها بسبب ذلك المال.

أعتصر ألمًا وحرثًا.

أخيرًا تذكر فيروز وتلك اللوحات التي باعتها.

**فعلًا.. فيروز.**

**لدي بعض المال عندها من بيع اللوحات.**

تواصل معها:

ارجوك فيروز أنا بحاجة إلى بعض المال من أرباح  
بيع اللوحات.

- ولماذا؟

- أختي روشان مريضة جدًا وأصيبت بالحمى المنتشرة،  
ولا أمل في علاجها إلا بالذهاب بها إلى العاصمة.

تألّمت فيروز لمرض روشان كثيرًا.

روشان، ابنة عمها التي لم تراها أبدًا.

كم هو مؤلم أنها لم تراها، لكنه تعنت كبار العائلة، ومن يستطيع  
أن يلومهم؟

من يستطيع أن يقول لهم: لم كل ذلك؟

ما ذنب هؤلاء أن يدفعوا ثمن رغباتهم وقسوتهم؟

أرسلت له فيروز أرباح تلك الفترة، والتي قدرت بألف  
وتسعمائة وعشرة دولارات، وطلبت منه أن يطمئنها عليها.

فرح مرجان بالمبلغ كثيرًا.

كان مبلغًا يكفي لتكاليف رحلة العاصمة وعلاج أخته إن تطلب الأمر مالا.

نعم، فالعلاج المجاني متعب هنا ومواعيده أشبه برحلة انتظار للموت.

في صبيحة اليوم التالي كان لا بد عليه من الذهاب أولاً إلى المستشفى الوطني ليحصل على تحويل إلى العاصمة.

خرج مرجان مع أخته، وركبا مع الأستاذ مهدي في سيارته.

ذهب بهما أستاذ مهدي إلى المستشفى الوطني في طريق ذهابه إلى عمله، وأخبر مرجان بأن يتصل عليه في حال وجود صعوبات تحول دون حصوله على أمر التحويل إلى العاصمة.

دخل مرجان وأخته المستشفى، وأخبرهم موظف الاستقبال بأن المستشفى متوقف عن استقبال أي حالة جديدة لاكتمال الغرف بالمرضى، لكنهم سيعطونهم القليل من خافض الحرارة على المريضة أن تتناوله بعد تناول الطعام ثلاث مرات في اليوم.

**وأين الطعام يا دكتور لنتناوله قبل الدواء؟**

قالها رجل في الستين من عمره كان يقف خلف مرجان تظهر عليه آثار الحمى.

رجل أرهقته الحياة ونهشت من جسمه قبل أن يتكفل المرض بذلك.

رجل تقرأ في عينيه حكايات ستون عامًا من الألم، وعلى جبهته تجعدات صنعتها تلك السنين بحرفية شديدة، وكأن هذه مهنتها التي أجادت نحتها على جباه سكان المدينة، وكيف لا تجيد ذلك بتلك الحرفية طالما أن أدواتها هي سوط الظلم الذي تجرع من خلاله هؤلاء السكان مرارة المعاناة.

أخبرهم مرجان بأنه لم يأتي بأخته للعلاج، لكنه فقط يريد ورقة تحويل إلى مستشفى السلطان الأعظم في العاصمة.

رفض الموظف أن يعطيه ورقة التحويل بحجة أن ذلك غير ممكن، فطلب مرجان مقابلة مدير المستشفى والذي كان يهيم بمغادرة المستشفى خارجًا من مكتبه ومر من أمامه، فبادره مرجان بالحديث:

لو سمحت.

- تفضل.

- أختي مصابة بالحمى ولديها ألم في بطنها، وقد تحتاج إلى عملية، وفي ظل الظروف الراهنة طلبت منهم أن يعطوني تحويل إلى العاصمة فرفضوا.

- نعم من الصعب ذلك.
  - لا يوجد تحويل هذه الفترة.
  - لكن وضع أختي صعب ولا بد من نقلها حالاً إلى العاصمة.
  - لا نستطيع.
- لقد جاءتنا تعليمات بإيقاف كل أوامر التحويل في الفترة الحالية، وليس أمامك إلا المستشفيات الخاصة أو تتقدم للمكتب السلطاني بطلب علاج لشقيقتك بحكم توفر علاجها في العاصمة، وهم سيصدرون لك أمراً بذلك.
- ماذا؟

طلب علاج من السلطان؟

هل العلاج يحتاج إلى من يتكرم به علينا؟

أليس من حقنا أن نحصل على علاج دون أن يمن به

أحد علينا، ودون طرق للأبواب أو الاستجداء؟

في هذه الأثناء رن هاتف مرجان فقام مباشرةً بالرد:

أهلاً أستاذ مهدي.

لا، لم يحدث معي شيء.

ماذا تقول؟

جيد.

أشكرك جدًا.

سأحضر حالاً.

ترك مرجان كل شيء وخرج بأخته من المستشفى أو المكان الذي يقال عنه مستشفى، وتوجه إلى مكتب الأستاذ مهدي، فقد أحضر له ورقة تحويل إلى مستشفى السلطان الأعظم في العاصمة، لأنه كان يعلم جيدًا أنهم لن يعطوها لمرجان.

خرج مرجان بأخته، وبقي ذلك الستيني عند مدخل المستشفى، فهو بالتأكيد لن يجد من يساعده للحصول على طريقة يذهب بها إلى العاصمة، ولا حتى له معرفة بأمثال الأستاذ مهدي ليجلب له ورقة موقعة بكلمة: معروف لدينا.

في صبيحة اليوم التالي سافر مرجان بالقطار مع أخته روشان إلى العاصمة التي تبعد نحو ستمائة كيلو متر عن خير آباد.

كم كان الأمر صعبًا على أم مرجان أن تترك ابنتها تسافر إلى العاصمة دون أن تذهب معها، لكنها تكاليف السفر.

تلك التكاليف التي كان ينبغي عليهم أن يوفروا منها قدر ما يستطيعون، فلا يعلمون ما الذي سيحدث، فقد يحتاجون هناك إلى مبالغ مالية قد يعجزون عن دفعها.

لم تتوفر في القطار خدمة إسعاف مما زاد الأمر سوءًا، لكن لا يهم طالما أنها ستجد خدمة علاجية راقية هناك، وفي نفس الوقت هو لا يريد أن يخبر أحدًا في المحطة عن إصابة روشان حتى لا تُمنع من صعود القطار، لكنه في نفس الوقت أخذ التدابير اللازمة لذلك.

كم كان الأمر صعبًا، وكم كان كوميدياً.

ركوب القطار فيه متعة كبيرة في غربستان ينسيك تلك الخدمات السيئة التي تُقدم فيه، و كأن الله عوض راكبيه قسوة ذلك القطار المتهالك.

مناظر رائعة و خلابة، والخضرة في كل مكان.

يخترق القطار الكثير من القرى الريفية الجميلة التي يمر بها في طريقه.

حياة بسيطة ورائعة.



في كل قرية يمر بها القطار تجد الماعز والبقر يأكلون من الحشائش هنا وهناك، ويشربون من الماء يقودهم راعي أمين.

يلوح الأطفال للقطار عندما يمر بالقرب منهم، ويودعونهم بكل براءة و كأنهم يعرفون مسافريه.

ما أجمل الريف وما أرق أهله.

تتميز الحياة الريفية عن المدن بأنها هادئة بطبيعتها، وبالتالي هي أقل عرضة لمآسي البلاد، وقد يكون ذلك بسبب أنها فضلت اعتزال المدينة.

بسبب أنها سكنت وحيدة وسط هذه الطبيعة الساحرة ولم يعجبها صخب الحياة ولا أضواء المساء، فثارت هنا لوحدها ولم تأبه بأحد.

ما أجملها وما أروع وحدتها.

ما أروع المكوث فيها واعتزال ضجيج الحياة، وكم نحن بحاجة إلى ذلك السكون.

أخذ مرجان يتأمل الطبيعة وجمالها، وأخذ ينظر من نافذة القطار، وسرح بتفكيره بعيدًا يتأمل كل ما يراه أمامه من طبيعة

ومن مناظر، وهنا تذكر فيروز، وكيف ينساها وهي خالدة في  
فكره؟

نعم، تذكر فيروز وهي تمر أمامه بين الجبال وبين تلك الطبيعة  
الرائعة فكتب لها:

فيروز

أكتب لك وأنا في طريقي إلى العاصمة على ذلك القطار المتعب، لكنني بالتأكيد  
لا أشعر بتعبه طالما أرى الطبيعة من نافذته.

كم هي الطبيعة نقية وصادقة، وكم يتمنى المرء لو يعيش بين أحضانها.

يا ترى لم نحب الطبيعة ونتمنى الهروب إليها؟ هل لأن الطبيعة صادقة ونقية؟

كم هي جميلة تلك الطبيعة كجمال من نحب، وكم هي نقية كنفائهم، وما أجمل أن  
يجتمع الجمال والنقاء في مكان واحد.

بل في جسد واحد.

كم أتمنى أن تشاهدي الطبيعة هنا في غربستان، هل تحبين الطبيعة يا فيروز؟

هل تتمنين أن تعيشي فيها؟

يقولون بأن الأنقياء يعشقون الطبيعة، وأنتِ بالتأكيد تحبينها لأنك نقية، ولأنها  
تشبهك تمامًا، فقد جمعتي بين نقاءها وجمالها.

التوقيع

مرجان

قرأت فيروز رسالة مرجان.

قرأتها وهي سعيدة بتلك الكلمات العميقة.

نعم، لم تكن رسالة عادية تتكلم عن جمال الطبيعة في غربستان، بل كان فيها من عمق المعاني الكثير والكثير، مما جعلها ترد على مرجان بالرسالة التالية:

مرجان

قرأت رسالتك الجميلة، قرأت قبل ذلك عن جمال ريف غربستان الساحر، لكن وصفك لها كان أجمل، ولم لا يكون كذلك، فأنت تكتب كلمات رائعة تضاهي روعة ما ترسم.

جميلة تلك الطبيعة التي جمعت الجمال والنقاء في تمازج رائع، وبالتأكيد كانت ملاحظتك لذلك التمازج دلالة واضحة على ما تحمل من صفاء نقاء داخلي رائع وأحاسيس جميلة ونادرة.

الطبيعة يا مرجان لا تزداد جمالاً إلا بساكنيها، وكم أتمنى أن أزورها وأزور غربستان يوماً وأمتع عيناى بمناظرها الخلابة والجميلة، وبكل شيء فيها.

مع تحياتي، وأسأل الله الشفاء لأختك روشان.

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان رسالتها وأخذ يحدث نفسه:

كم أتمنى أن تزورها وتشاهدين جمالها.  
أتمنى أن يتحقق ذلك.

وصل القطار أخيرًا بمرجان وأخته روشان إلى العاصمة،  
والتي لم تكن تختلف كثيرًا في أجوائها عن مدينته سوى أن  
الخدمات فيها أفضل.

سوى أن للإنسان فيها قيمة أكبر.

سوى أن بعض مبانيها أعلى وأجمل، ورغم ذلك كانت العاصمة  
متأثرة بالأوضاع المتدنية التي وصلت إليها البلاد.

مدينة ما إن تخرج من محطة القطار فيها حتى تسير خمس  
دقائق بالسيارة ثم ترى تلك المباني، بعكس المطار الذي يبعد  
مسافة نصف ساعة بالسيارة.

استقلت روشان الباص والذي سيتوجه بهم إلى وسط العاصمة  
مع شقيقها مرجان.

تحرك الباص، وبعد خمس دقائق ظهرت مباني حديثة من  
زجاج.

كم هي رائعة وجميلة تلك المباني والتي تعكس صورة كل من يمر أمامها، لكنها سرعان ما تختفي لتحل محلها تلك المباني المتوسطة الروعة، إلى أن تليها تلك المباني العتيقة البسيطة، وكأنه التقسيم البشري لساكنيها.

قليلون هم أولئك الصفوة لكنهم يمتلكون أكثر من تسعين في المئة من الثروة، ثم بعد ذلك أولئك الذي يلونهم، ثم الغالبية العظمى لأولئك الفقراء والبسطاء في كل شيء.

توقف الباص الصغير الذي كان يركبه مرجان وأخته عند السوق الشعبي، وما إن نزل هو وشقيقته حتى بدا لهما المكان خاليًا من البشر.

لا أحد سوى سيارة عسكرية تراقب المكان، ليسألته ذلك الشرطي الذي تبدو عليه ملامح الغضب بدون أسباب:

أنتما ماذا تفعلان هنا؟

لم لا تتحركان؟

- عذرًا.

أريد الذهاب إلى مستشفى السلطان الأعظم.

- عليك بالعودة إلى ما قبل الحي التجاري.

- وأين يقع ذلك المكان؟

- عليك أن تركب ذلك الباص الذي ينقل المسافرين إلى محطة القطار.
- وماذا أقول له؟
- أصعد ولا تسأل.
- كيف لا أسأل، من حقي أن أسألك.
- ماذا تقول؟

أثناء نقاش مرجان مع ذلك الشرطي يقترب منه الباص ويطلب سائقه من مرجان بالصعود وأنه سيساعده في معرفة وجهته.

يخبر مرجان السائق بتضايقه من تعامل ذلك الشرطي معه، وأنه أصلاً لخدمة الشعب، فلم يتعامل بتلك الفوقية مع الناس، خاصة عندما يرى المتحدث معه من العامة؟

- هم هكذا، وماذا تنتظر منهم؟
- لا عليك أخبرني عن وجهتك؟
- مستشفى السلطان الأعظم.
- حسناً، يقع قبيل الحي التجاري بعد محطة الوقود.
- سأخبرك عندما نصل.
- شكرًا لك.

عندما وصل الباص إلى محطة الوقود أخبره السائق بأن يمشي لمدة سبع دقائق إلى أن يرى المستشفى.

كانت أخته متعبة وتشعر بالألم، خاصة مع التنقلات بين القطار والباص، ثم الباص مرة أخرى.

أراد مرجان أن يبعد عنها التعب، فبحث لها عن دكان في طريقه، وكم كان ذلك شاقًا نوعًا ما في ظل حظر مفروض، لكنه وجد ذلك الدكان أخيرًا، فاشتري لها بعض قطع الشكولاتة والحلوى.

وصل مرجان بأخته روشن إلى المستشفى.

كان الزحام شديدًا حتى خارج المستشفى، فالكل يريد رقمًا.

في المستشفى كل شيء يدل على وجود ألم.

مبنى من أربعة أدوار متهالك ألمًا أبي إلا أن يشارك زائريه أوجاعهم.

مبنى يزدحم بالمرضى، ولم يستطع مرجان أن يفرق بين مراجعيه ومنسوبيه، فليس هنالك لباس يميز منسوبيه سوى بعض الملابس البيضاء للبعث منهم دون الآخرين، تمامًا كمستشفى المدينة، فأغلبهم يلبسون ما يشاؤون، ليس لأن سقف

الحرية مرتفع هنا، فلا مكان للحرية في غربستان، لكن لأن  
المستشفى لم يستطع تأمين ملابس خاصة لكل منسوبيه بالقدر  
الكافي.

أخذ مرجان يبحث عن شخص يتحدث معه.

عن أي أحد يعمل في المستشفى، وأخيرًا استطاع الوصول إلى  
أحد منسوبيه:

عذرًا سيدي هل تعمل هنا؟

- نعم، ماذا تريد؟
- أختي مريضة، وأريد أن يراها الطبيب.
- اذهب إلى قسم الطوارئ، لا بد أن يفحصوها أولاً قبل  
أن يراها الطبيب حتى يتأكدوا من سلامتها من تلك  
الحمى.
- وأين هذا القسم.
- من هناك، ستجده عند المدخل الآخر.
- شكرًا لك.

تعجب مرجان!



كيف يكون الدخول من القسم الشرقي والناس هنا ينتظرون  
ويتعاركون؟

لم لم يخبرهم أحد بذلك؟

لم لا بد عليهم أن يسألوا ليعلموا إلى أن يتجهوا؟

توجه مرجان بأخته إلى قسم الطوارئ.

صالة كبيرة عند المدخل الشرقي.

نعم المدخل الشرقي.

سرح مرجان عندما قرأ المدخل الشرقي وتذكر شرقستان، بل  
تذكر فيروز.

أه يا فيروز.

تمنيت لو قرأتها، شرقستان.

ابتسم وسرح بفكره، لكنه سرعان ما استعاد صوابه على صوت  
رخيم:

**لماذا تقف هنا؟**

- أه، آسف، أين الطوارئ؟

- وماذا تريد؟

- أختي مريضة، وأريد من الطبيب أن يراها، وأمروني بالحضور إلى هنا.

- حسنًا، انتظر حتى نجد سريرًا لنعاين المريضة.

جلس مرجان على الأرض وأخته بجواره، فلا مكان آخر يستطيعان فيه الانتظار.

صالة طولية بها حجرات، وبكل حجرة مجموعة أسرة، بل أن الأسرة تجرأت وخرجت إلى تلك الصالة الطويلة، ثم إلى خارج باب المدخل الشرقي.

مكان لا يُسمع فيه إلا الأنين، ولا يرى فيه إلا الجراح.

ما أصعب الجراح.

ما أصعب الألم.

وما أحقر الفقر.

قالها مرجان وهو ينظر لكل هؤلاء المرضى من حوله.

بعد ساعة ونصف نادى عليه ذلك الرجل فذهب بأخته، وتم وضعها على السرير، ثم قياس درجة حرارتها من قبل الممرضة المناوبة:

إن حرارتها عالية.

لعلها الحمى، ولا بد من أن يراها الطبيب فورًا.

- أعلم ذلك، أرجوا أن لا تتأخروا بعلاجها.

- انتظر، وسأعطيك رقمًا.

(655) كان هذا هو رقم دخول أخته على الطبيب.

أخذ مرجان الرقم وبحث مرة أخرى عن مكان ليجلس فيه هو وأخته روشان.

كان عليه أن ينتظر إلى أن يصل دوره، ومن حسن حظه أن هنالك أرقامًا لا يجيب أصحابها.

لا يجيبون ليس لأنهم ذهبوا وغادروا المستشفى بعد ملل انتظار، لكن لأنهم ماتوا وغادروا الحياة وهم على كرسي الانتظار.

نعم، فقد كانوا ينتظرون دورهم للدخول على الطبيب، وكان ملك الموت ينتظرهم كذلك.

لم يستطيعوا مقاومة الألم، ولم يقدر حالهم أحد ليدخلهم قبله، فكلهم يعانون، فمن يتنازل بدوره للآخر؟

التنازل عن الدور يعني التنازل عن الحياة.

منظر لا يمكن وصفه أبداً سوى أنها جثث حرب لم تُطلق فيها  
رصاصاً واحدة.

الموت هو الأمر الطبيعي هنا، وكأن الحياة هي الأمر المفاجئ  
للجميع.

من الصعب أن تجمع بين سماع إجابة مرافقي هؤلاء المغادرين  
عندما يتم النداء على أرقام ذويهم، ولا بين مشاعر من فازوا  
بالجلوس على كراسي الانتظار بين جموع كثيرة كانت مستلقية  
على الأرض تنتظر فراغ تلك الكراسي لتجلس عليها، ثم تدخل  
في انتظار آخر ليراها الطبيب.

مشاعر متضادة بين حزن وداع، وفرح أمل بالشفاء، لكن  
المتفق عليه هنا هو صوت الألم.

جاء دور روشن، ودخل معها مرجان إلى الطبيب، والذي قال  
له بعد أن كشف عليها:

اخذتك تعاني من الحمى، ومن ألم في بطنها سببتها

المرارة، ولا بد من التدخل الجراحي.

- لكن المرارة تصيب الكبار فقط يا دكتور.

- هذا اعتقاد خاطئ فهي كذلك قد تصيب الأطفال، فالمرارة قد تتعرض للكثير من الالتهابات والعدوى الجرثومية والطفيلية، وحصوات المرارة عند الأطفال قد تكون أيضاً لأسباب وراثية، أو أن ذلك له عدة أسباب أخرى منها الامتناع عن تناول الطعام لفترات طويلة، أو هبوط مفاجئ في الوزن، أو حدوث انسداد في القنوات الصفراوية للمرارة، أو التعرض لأمراض مزمنة في الكبد، أو مرض التليف الكيسي، أو الوزن الزائد، أو غير ذلك من أسباب أخرى.

- فهتم الآن، لكن ما هو الحل يا دكتور؟

- سنعمل بدايةً على ذهاب الحمى، إنها مميتة كما ترى، وفرصة النجاة منها صعبة لمن أصيب بها، وبالتالي لا بد أن ننظر قبل إجراء العملية.

- ولم الانتظار يا دكتور؟

لم لا تبدأ الآن؟

- لا بد من الانتظار لأن الحمى معدية، وكذلك قد تضرر بها العملية لو أجريناها في ظل ارتفاع درجة حرارة المريضة.

- وهل ستطول الحمى يا دكتور؟

- ربما، بحسب استجابتها للعلاج.
- ثم حتى لو استجابت للعلاج فلا بد من الانتظار بعد ذلك لنجد لها موعدًا لإجراء العملية.
- عجل يا دكتور أرجوك.
- ليس الأمر بيدي، فالإمكانات محدودة هنا، والعدد كبير كما ترى.
- والحل؟
- توجه بها إلى المستشفى الروسي.
- لا أستطيع.
- أريد إجراءها هنا.
- إبدأ عليك الانتظار، ثم قبل إجراء العملية لا بد من أن توفر لها كمية دم احتياطية.
- لا بأس خذوا من دمي.
- دمك لا يكفي، لا بد من شخص آخر أيضاً.
- ليس لي معارف هنا.
- اذهب إلى خارج المستشفى وستجد الكثير ممن سيقبلون بدمهم بمقابل مادي.
- بمقابل مادي؟!!
- نعم.

إن ظروفهم المادية صعبة للغاية، بل أن هنالك من هو  
مستعد لبيع عضو من أعضاء جسمه.

تعجب مرجان مما قاله له الدكتور، ثم خاطبه قائلاً:

أيعقل أن يضحى الإنسان هنا بأي شيء من أعضائه  
من أجل المال؟  
هل هم مجانيين؟  
لم كل ذلك؟

- إنه الفقير يا مرجان، إن ظروفهم صعبة فلا تلومهم.  
إنهم لا يجدون قوت يومهم، والأعمال صعبة هنا،  
وأسرهم في المنزل تنتظر طعامًا، هذا غير تكاليف  
الحياة الأخرى.
- الحياة لا ترحم يا مرجان، والوضع كما ترى.  
ليس ذنبهم.
- إنه ذنب من تولى أمرهم.  
من تركهم يقاسون الحياة ولم يشعر بهم ويأتي لهم  
بحلول، بل أنه لم يكتفي بذلك، بل أغلق في وجوههم  
أبواب الحصول على العيش.
- لا تتحدث عن هذا الأمر هنا، أرجوك.

سيتسبب ذلك بمشكلات كثيرة كما تعلم.

أجبنني، هل ستنتظر؟

- من الصعب أن أنتظر وأختي تعاني.

أخشى أن تموت يا دكتور.

- كذلك هنا حالات كثيرة نخشى أن تموت.

أقدر ما أنت فيه لكن ليس بيدي شيء أقدمه لك سوى

أن تنتظر.

بعد شد وجذب قرر مرجان التوجه إلى المستشفى الروسي طالما لديه مبلغًا من المال، وكان ذلك.

ذهب بها إلى المستشفى الروسي في قلب الحي التجاري.

كان أشبه بمركز تسوق عالمي.

رائحة المعقمات في كل مكان، والعاملين في المستشفى يتميزون بملابس بيضاء ملائكية.

زحام لا بأس به بحكم الوباء، لكنه منظم بشكل جيد.

لم يشعر أنه في غربستان.

كل شيء يدعو للبهجة رغم الألم.



هكذا قالها مرجان لأخته وهو ممسك بيدها في الساحة الداخلية للمستشفى متوجهًا بها إلى قسم الطوارئ.

وصل بها إلى قسم الطوارئ وأنتظر قليلًا.

نادوا عليها، ودخل معها مرجان، ثم حولوها إلى الطبيب.

أخبره الطبيب بضرورة بقائها في الحجر الصحي مع مواصلة العلاج لذهاب الحمى أولاً، ثم إجراء العملية بعد ذلك.

مرت الأيام وتم شفاؤها من الحمى.

فرح مرجان بذلك، واتصل على والدته وطمأنها على صحة روشان، وبالتأكيد تواصل مع فيروز كعادته، وتم بعد ذلك تحديد موعد إجراء العملية لأخته.

كانت روشان قلقة جدًا من العملية، لكن وجود مرجان معها خفف عنها الكثير.

كان دائمًا ما يشجعها ويرفع من معنوياتها ويذكرها برحمة الله وفضله.

حدد الطبيب موعدًا للعملية، وفي اليوم الموعد تم إجراءها بكل يسر وسهولة، وتم شفاء روشان بفضل الله عز وجل.

بعد توفيق الله يعود الفضل إلى تلك اللوحات.

إلى المال.

هل لا بد من المال لنتشافى؟

هل ملامح المرء غير كافية لإثبات أنه إنسان يستحق الحياة؟

أليس العلاج جزءًا من الأمان الذي يحدثونا عنه؟

بعد فترة النقاهة عاد مرجان وشقيقته إلى خير آباد.

عادا إلى مدينتهم، ورغم أن فترة الغياب كانت بسيطة لكن حيهم

فقد الكثير من أبناءه خلال هذه الفترة.

ماتت ابنة جارتهم.

وابن تلك العجوز التي تباع الفالوذا.

مات كذلك ذلك الرجل الستيني.

إنه الوباء الذي لم يرحم أحدًا.

لم يعرف أنهم فقراء لا يقدرّون على مواجهته، وهل قدّرهم أحد

ليواجهوا الحياة؟

عاد مرجان ولم يتبقى له من المبلغ إلا أربعين دولارًا.

يا ترى ماذا أفعل بها؟

كان مرجان يتمنى لو تبقى له ثلاثمائة دولار على الأقل ليقضي بها حاجيات أسرته، لكنها الظروف عندما تكون أقوى من أي شيء.

أخذ مرجان بالتفكير، فالمغادرة تلوح له من جديد.

نعم، فالأوضاع ما زالت صعبة هنا في غربستان ورغم ذلك لا يريد لذلك التفكير أن يعود إليه.

كان يقول في نفسه:

لا، ليست حلاً.

ولم أغادر؟

هل أقوى على الغربية؟

كم هو مؤلم البعد عن الوطن.

لمن سأترك أسرتي هنا؟

هل سيصبرون إلى أن أجد عملاً؟

لمن سأترك الوطن لو غادرنا جميعاً؟

من سيبنيه؟

من سيحميه؟

## هل نتركه للصوص؟

قرر مرجان أن يعود للعمل في المجال التطوعي بعد أن رأى معاناة الناس من حوله، وفي نفس الوقت يريد أن يعمل عملاً آخرًا يسنده في هذه الحياة، لكن كل شيء كان متوقعًا بسبب الحمى.

لم يكن هؤلاء الفقراء بحاجة إلى أن تتوقف الحياة، فتوقف الحياة كان يعني بالنسبة لهم الهلاك.

أكثر أهل الحي هنا يتكسبون من ذلك السوق الذي تم إغلاقه بحجة الوباء.

لم الإغلاق؟

لماذا لم يكن هنالك حلًا آخرًا يحافظ على حياة الجميع.

صحيح أن الموت تخطف الكثيرين، لكن لم يكن الوباء لوحده هو السبب، فقد نافسه الجوع على ذلك.

الإغلاق حل جيد للأغنياء والميسورين من صفوة البلاد، لكن ماذا عن الفقراء هنا؟

ألم يعلموا بأن هنالك فقراء ومساكين ليس لديهم مال مدخر يصرفون منه؟

لم لا يُصرف لهم المال بدون استثناء، وبدون شروط ليعينهم  
على الحياة طالما لا بد من الإغلاق؟

لماذا المساعدة والدعم لها شروط لا بد وأن تتحقق؟

لا يوجد أحد يسأل هذا السؤال، حتى كُتاب المقالات كانوا  
يمجدون توقف الحياة، فالصحف تُقرأ من المنازل.

بعد فترة رفع الله البلاء وعادت الحياة من جديد، وخرج  
مرجان للعمل، وخرج سكان غربستان كذلك بل وعادت الحياة  
للعالم من جديد.

كان يعمل صباحاً في حمل الحقائب.

نعم تلك الحقائب التي يحملها للمسافرين والمهاجرين.

أولئك المهاجرين والذين كان يسميهم مرجان بالهاريين.

هربوا لأنهم في نظره تركوا وطنهم وهو في قمة حاجته إليهم.

هربوا للنجاة بأنفسهم.

كان صديقه أختَر يسأله عندما يتناقشان حول ذلك:

**وماذا هم فاعلون يا مرجان؟**

يسأله كلما تناقشا حول وضع الكثير من الشباب والفتيات الذين  
تركوا كل شيء ورحلوا.

رحيل مر يصفه أختَر، ذلك الطبيب أو الذي يتمنى أن يصبح  
طبيباً مزاولاً لمهنته، فهو مازال يبحث عن عمل منذ أن استلم  
شهادته بعد ذلك الاحتفال البهيج، الذي أقسم فيه وزملائه على

احترام شرف المهنة ورفع سمعة الوطن، وما إن غادر ذلك  
الحفل لم يجد تلك المهنة ولم يجد ذلك الوطن.  
كان يقول له:

وأنت يا مرجان ألسنت جامعيًا؟  
ألسنت خريج كلية الحقوق؟  
هل خريج كلية الحقوق يا مرجان معناه أن يعمل حملاً  
للحقائب؟  
أنا لا أقلل من أي مهنة لكن ألا تستحق حياة أفضل؟  
من يتحمل ذلك يا مرجان؟  
لماذا تدفع ثمن أخطائهم؟  
أليس من حقنا أن نجد العيش الكريم؟  
لماذا الوطن يطلب منا فقط؟  
متى سيقدم لنا؟  
ما دور أولئك الذين هم على رأس الهرم؟  
إنهم يقتاتون من الوطن، ويريدوننا أن نقدم نحن  
للوطن ليأخذوه هم.  
لم لا يفرقون بين أن الوطن شيء وهم شيء آخر؟

لم يربطون الوطنية بما نقدمه لهم ثم يمنحونا لقب  
الوطنيين كتشريف وشهادة على ما نقدمه لهم؟  
لم لا يعلمون أنهم هم المطالبون بتقديم شيء للوطن،  
لأن الوطن يدفع لهم مقابل ذلك؟  
يدفع لهم ليسهروا على راحتنا، وأين راحتنا التي  
قدموها لنا يا مرجان؟  
إننا نعاني ونعاني، وسنظل نعاني لو لم يستشعروا  
دورهم.  
لو لم يعلموا ذلك.  
إننا فقط من يُطلب منا أن نقدم للوطن ونُخون من أجل  
ذلك.  
إن الوطنية يا مرجان ليست شهادة شرف، بل هي  
لتعلمك عن الجهة التي هي مسؤولة عنك وتقدم لك  
خدماتها، ثم أنت تقدم لها ما تستطيع بعد ذلك.  
نعم، لنقدم للوطن يا مرجان، لكن على الوطن كذلك أن  
يساعدنا لنقدم له.  
أن يعطينا ليأخذ منا.  
لو لم يعطينا الوطن من الذي سيعطينا؟



أراد أختر أن يغادر الوطن لكنه رغم ذلك مازال مترددًا.

كان يقول لمرجان كذلك:

أن الوطن مازال يطلب منا كما طلب من آبائنا.

يطلبنا أن نكون له.

يطلب منا أن نموت من أجله والله أراد لنا الحياة.

لم نردد دائمًا في النشيد الوطني:

نموت نموت ويحيا الوطن؟

لمن سيبقى الوطن لو متنا جميعًا من أجله؟

هل سيبقى لعالية القوم؟

أين الضعفاء؟

في المقابر؟

لا تلومهم يا مرجان إن غادروا فهم يريدون الحياة.

لا تلومهم ولا تخونهم في حبهم للوطن، فهم يحبون

وطنهم.

نعم، نحن نحب وطننا، لكن كذلك نحب أن نعيش

عيشة كريمة، ونحب أن نصنع لأسرتنا ولمن نعول

عيشة كريمة.

إلى متى نعاني؟

هل هنالك ثمة أمل أو نظرة للتطوير؟  
إنهم فقط يتمتعوا بخيرات الوطن ويتركوا لنا ترابه  
لنموت من أجله.  
نعم، قد أتفهم غضبك منهم لأنهم تركوا الوطن دون أن  
يستردوا له كرامته ويتعاونوا لذلك، لكنهم مجبرون،  
فلم يستطيعوا أن يغيروا شيئاً فاختاروا الهجرة.  
أخيراً غادر أختز بعد شهر، حاله حال الكثير من الشباب، وبقي  
مرجان في بلده.  
بقي هو ومن لا يملك ثمن المغادرة.  
لم يكن ثمن المغادرة عند الكثيرين هو مبلغاً من المال يتم دفعه  
للمهرب أو لمكتب الهجرة لمن يخرجون خروجاً نظامياً.. لا.  
إن الثمن لم يكن ذلك فقط.  
إن ثمن المغادرة هي غربة يقاسوها، وفراق يتجرعوه، ووطن  
يتركونه للمجهول.  
ليس بالسهل أن تكون بعيداً عن أهلك ووطنك.  
أن تمر الأعياد تلو الأعياد، والمناسبات تلو المناسبات، وأنت  
لست هنا.

بل حتى تلك الأحزان التي تطل على أسرتك وأحبابك فتسلبهم  
البسمة وأنت لست بينهم لتقتسمها معهم، ثم تعود بعد كل تلك  
السنوات وكل شيء لم يعد كما كان.

تعود لتعيش غربة ثانية بين أهلك.

يعاملونك كضيف لأيام، ثم يتركونك ليمارسوا روتين حياتهم.

ذلك الروتين الذي ليس لك مكان فيه، ولن يستوعبك كعضو  
جديد إلا بشق الأنفس، ورغم ذلك لن تكسر كل الحواجز.

كم هو قاسي كل ذلك.

قاسي رغم وجود المال.

في هذه الفترة كان مرجان يرسل فيروز ويطمئن على أحوالها.

كان يرسلها عندما يعود من عمله في الميناء كل مساء.

يقص لها عن يومه، ويتشاوران في اللوحة الجديدة التي سيرسمها، ثم يبدأ بالرسم قبل أن ينام، بل أحياناً ينام مباشرة بعد حديثه معها.

لم تكن فيروز مهتمة كثيراً بالأوضاع، لكنها كانت فرحة بانفصال شرقستان عن غربستان، متأثرة بأبيها في ذلك حالها حال كل أسرتها.

نعم، هنالك من فرح بذلك فلقد وعدوا بحياة أفضل.

وعدوا بأن الانفصال سيفتح لهم مجالات للتطور، ولأن يكونوا.

**لقد أكل الغربستانيون خيراتكم.**

هكذا تم تلقينهم.

هكذا أريد لهم أن يفهموا، لذلك كانوا متعصبين ومتحمسين كثيراً للانفصال.

لا يهم ما سيحدث لإخوانهم إن انفصلوا عنهم.

ستهون العشرة بالتأكيد.

ستصبح دولة مجاورة، وحينها لتصنع مستقبلها بنفسها.

الجوار في السياسة لا يعطيك حق سابع جار، ولا أوله.

في السياسة كل ممنوع مسموح.

نعم، هي هكذا بكل تناقضاتها.

ما يجوز لي محرم عليك، وما هو محرم عليك سأفعله وبالذليل

الشرعي، والشرعي هنا هي شريعتي.

الجوار في السياسة يجعلني أطمع لأن أرثك، وهذا ما وضع

غربستان في وضع سيء، فالعدو هو شقيق الأمس الذي أصبح

يهدد من الخارج.

نعم.

من الجوار.

من الضفة الأخرى من البحر.

من بلاد فيروز.

من شرقستان.

كم هو مؤلم أن يحدث ذلك.

أن تأتي الطعنة ممن كان أنت وكننت هو.

ممن كنتما جسداً واحداً.

وطن واحد، ثم تخلى عنك وابتعد، وها هو يعود إليك من جديد،  
لا إلى طلب عفوه، ولا من أجل أن يعود إليك، لكن فقط ليقضي  
عليك وتصبح له وجبة دسمة.

والأكثر إيلاً أن يكون من بجوارك أداة لأطراف أخرى  
تحركه.

إنها مأساة أخرى تضاف إلى مآسي غربستان.

جوع وفقر وظلم وحُمى، وها هي الحرب على الأبواب.

نعم الحرب، فشرقستان ما إن انفصلت ووقفت على قدميها حتى  
كشرت عن أنيابها وعادت للتفكير في غربستان وأن تكون تحت  
سيطرتها.

إنها مآسى سببها النظام وحاشيته في غربستان.

نعم، هم من يتحملون ذلك بتقصيرهم وعدم اهتمامهم في البحث عن مصالح وطنهم، واهتمامهم بمصالحهم الشخصية، وزيادة أرصدهم المالية.

في بيعهم لخيرات البلاد وتعطيل عجلة التطور والتقدم ليتطور غيرهم.

سبائهم مقصود ومدفوع ثمنه، في زمن البقاء للمستيقظ.

هم السبب وكل من في غربستان يعرف ذلك ويعرف خيانتهم لوطنهم، لكن ذلك النظام الآن سيستغل الحرب للتغطية على كل ما سبق.

سينسيهم الفقر والجوع والظلم، فلا وقت الآن لشيء، وسيظهر النظام وحاشيته في هذه الفترة كالأبطال.  
كالمدافعين.

نعم، فالدفاع عن البلد الآن هو الأهم، وسيدبرون الحرب من مكاتبهم، ولن يكون في الساحة إلا أبناء أولئك البسطاء، وعندها لن يتركوا مجالاً للسؤال الأهم:

من أوصل البلاد إلى هذه المرحلة؟

لماذا تكالبت عليهم الأعداء؟

تطوع مرجان في الجيش، فرغم كل شيء لا بد أن يدافع عن وطنه.

نعم وطنه الذي قسى عليه.

وطنه الذي أذاقه وأذاق غيره ألوان العذاب.

هو يعرف أن كل من تمتع بالسيادة والجاه والثروة لن يكون هنا.

لن يظهر هنا.

سيذهبون إلى أي مكان.

سيراقبون من بعيد، أو يذهبون إلى السياحة إلى أن يعود كل شيء، وسيبقى الوطن في وسط هذه الظروف لهم، ولا مجال إلا للدفاع.

لا مجال إلا للبقاء والثبات، فالتخاذل هنا يعني النهاية.

التخاذل يعني ضياع البلاد.

التخاذل يعني موت البسطاء هنا، فهم فقط من سيدفع الثمن، ومن سيدفع كذلك فاتورة هذه الحرب.



كان لا بد لمرجان أن يدخل في دورة عسكرية إن أراد أن يتطوع، و معنى ذلك أن يغيب أربعين يومًا.

حاول مرجان أن يقوم بتوفير كمية كافية من الطعام لأهله تشعره بالاطمئنان، وإن كان من الصعب توفير طعام لأربعين يومًا.

من الصعب، فمن يستطيع توفير ذلك في غربستان لأسبوعًا واحدًا؟

قبل ذهاب مرجان إلى المعسكر أرسل إلى فيروز:

فيروز، قد أغيب أربعين يومًا وثقي أنها لن تزيد.  
سأحضر دورة عسكرية، وكما تعلمين بأن بلادنا قد  
تتعرض لهجوم.

سأحاول أن أضع هاتفني في مكان آمن للاطمئنان عليك  
ولمواصلة أعمالنا.

قرأت فيروز رسالته وأصابها القلق.

صحيح أن متابعة تجارتها مع لوحات مرجان يههما، لكن هذه  
المرّة قلقها على مرجان كان أكبر.

شعور تشعر به للمرّة الأولى.

هي لا تريد أن تفقده.

ولم فكرت في فقده الآن؟

لم تكن تعلم بأنها تحبه كل هذا الحب، أو بمعنى أنها لم تفكر في ذلك طالما أن وسيلة تواصلهما كانت حاضرة.

طالما أن نقاشاتهما تتم بصورة يومية.

طالما أن كبرياتها لم يرد أن يقول أنها تحبه.

هل كانت بحاجة إلى غيابه لتشعر به؟

تلك الغيابات التي تحرك ما كان ساكنًا وأمنًا.

لماذا نحتاج إلى أن نفقد الشيء حتى نشعر به؟

لماذا الغيابات فقط تُشعرنا بقيمة ما فقدناه؟

بقيمة لم نعطيها اهتمامًا؟

تذكرت كذلك أنه ابن عمها الذي لا بد وأن تبحث في موضوع عودة المياه إلى مجاريها بين الأسرتين.

لم لم تواصل بحثها لحل ذلك؟

لماذا استسلمت؟

من أوقفها؟

هل شعرت بأنها أهملت ذلك طالما أن تواصلها معه كان  
حاضرًا؟

وضعت هاتفها وسرحت بخيالها بعيدًا.

أخذت تفكر:

كيف ستمر الأربعون يومًا التالية؟

هل هي أربعون فقط؟

هل حقًا سيستطيع أن يتواصل معي خلال تلك المدة؟

كيف سيكون حاله؟

كيف سأطمئن عليه؟

كيف سأعرف عنه؟

اغمضت عينيها وغطت في نوم عميق، فالنوم بالنسبة لها  
هروب.

نعم هروب، والهروب لا يأتي بالحلول بقدر ما هو راحة  
لأنفسنا من واقع يزيد من الأمان.

من واقع يزيد من أحزاننا.

من كل شيء يؤذينا.

ليس كل هروب جُبْن، فأحياناً هو سمو.

هو رقي وانفراد بالنفس.

أحياناً نهرب من واقعنا الحزين إلى مكان نجد فيه أنفسنا لنخرج

ما فينا من طاقة أَلْمَتْنَا، وكم نحن بحاجة إلى ذلك.

بحاجة إلى أن نبتعد عن كل شيء لنعود من جديد.

نعود أكثر قوة لمواجهة الحياة بكل ما فيها.

في الليلة التالية توجه مرجان إلى معسكر التدريب.

ذهب بعد أن ودع أهله وسكان حيه.

ذهب ببذلته الرياضية وحقيبته الصغيرة.

مرجان بطبيعته شخصية مغامرة بالدرجة الأولى، ولا يبالي بأي شيء رغم هدوءه، ولذلك لم يتردد في تهريب بعض الأشياء معه إلى داخل المعسكر.

هاتف صغير للتواصل مع فيروز، وضعه بداخل جورب رجله اليمنى من الأسفل.

تأكد من أن أحدًا لن يراه، ثم توجه بعد ذلك إلى المعسكر، والذي هو خارج المدينة.

ذهب مع بعض أصدقائه من شباب حيه الذين انضموا كذلك معه في الجيش كمتطوعين.

وصل مرجان ومن معه إلى بوابة المعسكر.

بوابة كبيرة وقوية، بها كمرات للمراقبة، وبها كذلك بعض الجنود للحراسة، والبعض الآخر للتفتيش.

عاملوهم عند البوابة بشدة وهم الذين جاءوا من أجل وطنهم.  
دخل بحذر، وتم تفتيش كل شيء، وتسليم هاتفه الذكي ومتعلقاته  
الشخصية إلى إدارة المعسكر، لكنه بالتأكيد لم يسلمهم هاتفه  
الآخر الذي أخفاه في جوربه .

دخل بعد ذلك إلى المعسكر سعيدًا منتشياً كمن انتصر في  
معركة مصيرية، فقد نجحت حيلته.

بعد ذلك تم تسليمه بدلته العسكرية وتعريفه بواجباته، ثم توجه  
إلى المكان الذي سيكون مقرًا لنومه.

وضع حقيبته بجوار فراشه الذي سينام عليه.

كان فراشاً بسيطاً وغير مريح، وهذا أمر طبيعي في معسكر تم  
إعداده بهذه الطريقة لتعويد أفرادَه على قسوة الحياة.

لا أعتقد أنه أو أحد من زملاءه بحاجة إلى هذه القسوة في  
المعسكر ليتعودوا عليها، فهم قد اعتادوا على قسوة الحياة في  
حياتهم المدنية.

في بحثهم عن رغيف يسد جوعهم وجوع من يعولوا.

وضع رأسه على وسادته وتغطى بلحافه، ثم أخرج هاتفه  
وأرسل رسالة:

لقد وصلت يا فيروز، وهذه أول ليلة لي في هذا المعسكر.

كيف حالك؟

اعتذر لو قصرت في إرسال الرسائل، فأنا أريد أن أحافظ على شحن هاتفي، فمن الصعب أن أظهره لأشحنه بالكهرباء هنا، وسأتواصل معك غدًا في نفس هذا التوقيت.

أرسل رسالته وأغلق هاتفه، ونام مباشرة.

فتحت فيروز الرسالة وابتسمت، ثم كتبت:

الحمد لله أنا بخير، ماذا عنك؟

كيف حالك؟

هل تأكل جيدًا؟

هل معسكركم مريح؟

ثم أرسلتها مباشرة.

في اليوم التالي وعند وقت خلوده للنوم فتح هاتفه مرة أخرى وأخذ يقرأ.

سعد بذلك، وابتسم ثم أرسل لها:

## أنا بخير، أموري جيدة.

وكتب لها عن يومه.

مضى أسبوع وهما على حالتهم تلك يتبادلان الرسائل، ويطمئن كل منهما على الآخر.

لم يتحدثا أبدًا بشأن اللوحات.

كان اطمئنانًا وسؤالًا عن الحال، وبعض كلمات الاشتياق المبهمة.

لم يتواصل مع أحد غيرها سوى أحيانًا كان يتواصل مع والدته، فالجميع يعرف أنه سيُحرم من هاتفه أربعين يومًا.

كان يوم مرجان قاسيًا في المعسكر، بين تدريبات صباحية شاقة قلة نوم وطعام.

بين حرارة شمس في النهار و سوء تكييف في المساء وهكذا هي المعسكرات .

يستيقظون قبيل الفجر للتمارين، ثم المواصلة بعد الصلاة إلى وقت الإفطار، ثم إلى أن تكون الشمس فوق رؤوسهم، وهم بين زحف وركض، والعرق يتصبب منهم، ليرتاحوا قليلًا لتناول طعام الغداء ثم العودة.



حتى طعام الغداء فيه مشقة، فالوجبة التي يتناولونها بحاجة إلى مجهود من أجل أن تتقبلها المعدة، وأحياناً يتناولون الأفاعي أو الأرانب الحية!

من أجاز لهم ذلك؟

هل الدراسة في أكل الأرانب الحية أو الأفاعي؟

هل لأنهم قد يتعرضون لجوع شديد سيجعلهم يضطرون لذلك؟

لقد تعرضوا لأقسى من ذلك في حياتهم وما زالوا يعيشون.

ثم لماذا يظنون أن القوة في التمارين ستصنع لهم أفراداً يدافعون بشراسة عن وطن خذلهم؟

أين العقيدة الصادقة والحقيقية ليكونوا أكثر صلابة؟

لم لم يفكروا بتأمين حياة كريمة لهم ليطمئنوا؟

ليردوا المعروف، ولا معروف.

نعم لا معروف أن يعطيك الوطن، ولماذا إذًا هو وطن؟

عاد مرجان إلى فراشه منهكٌ بعد يوم شاق، وهذه المرة أراد أن يرسل رسالة خاصة إلى فيروز فكتب لها:

فيروز ..

كان التمرين شاقًا هذا اليوم كما يقول زملائي، وأرى نفسي متعبًا في آخر النهار،  
لكن ليس من جسدي بل من تفكيري.

أشعر بأن تفكيري يرهقني أكثر من جسدي.

هل يعقل أن لا أشعر كزملائي بذلك الإرهاق الجسدي الكبير؟

لم ذلك؟

لماذا الفكر ينسينا آلام أجسادنا ويجعلنا لا نشعر بها؟

هل للبعد دور؟

بعدنا عن من نحبهم؟

أتمنى أن أطيّر بعيدًا وأذهب إلى هناك.

نعم إلى هناك.

لماذا نشعر بكل ذلك التعب كلما نظرنا إلى كل تلك المسافات التي تفصلنا عنهم،

وأنا سنعاني طالما هي المسافات؟

أتمنى أن أصل لتنتهي المسافات، وعند ذلك ستذهب كل معاناة بالتأكيد.

التوقيع

مرجان

قرأت فيروز رسالته، وسعدت جدًا بها كعادتها، وفهمت ما بين  
سطورها.

أخذت تتأملها وتقرأها عدة مرات، وفي كل مرة تقرأها وكأنها  
تقرأها للمرة الأولى، ثم كتبت:

مرجان ..

الفكر أكثر إرهاقًا من الجسد، وأكثر ألمًا لأصحاب الأحاسيس المرهفة، و  
للصادقين.

نفكر عندما نفقد من نحب أو تبعدنا عنهم الحياة، فنشعر بنقص فراقهم، ونتألم  
ثم نتساءل بألم: لم تبعدهم عنا الحياة؟

لم نحن موعودون دائمًا مع الألم؟

ننظر إلى تلك المسافات فنشعر ببعدها وننسى بأن كل تلك المسافات ستتلاشى  
طالما نحن نسير.

طالما لم نهتم ببعدها ونفكر فقط بقطعها.

لنسير وننسى المسافات وسنصل.

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان الرسالة ثم ابتسم.

شعر أن فيروز قد فهمت رسالته جيداً.

نام مرجان بعدها نومةً هائلةً بعد أن ذهب عنه كل ذلك التعب الذي شعر به.

في صبيحة اليوم التالي، وأثناء فترة الإفطار، جلس مرجان مع رفيقيه في المعسكر مهران وبيجان، وأخذ كل منهما يتحدث عن مدينته التي جاء منها وعن عشقه لها.

جاء دور مرجان في الحديث، وسرح بخاطره.

سرح بخاطره وتحدث عن شرقستان ..

نعم شرقستان، وعن عشقه لذلك البلد.

نظر إليه بيجان باستغراب شديد، وكذلك مهران والذي قال له:

**ماذا تقول يا مرجان؟**

**شرقستان؟!؟**

**ألا تعلم أنهم أعداؤنا الذين ما اجتمعنا هنا إلا للدفاع**

**عن أرضنا منهم.**

**هل أنت منهم؟**

والله لولا أنني أعرفك جيداً لا تهمتك بالخيانة العظمى  
للبلاد.

ارتبك مرجان ولم يعرف ماذا يقول، لكنه تماسك ووجه كلامه  
نحو مهراڻ:

تعرفني جيداً يا مهراڻ.

إنني ما تكلمت عن شرقستان إلا لأنها تشغل تفكيري.

نعم تشغل تفكيري، فهي كما تعلم دولة معادية لنا، وما  
حضرت إلى هنا إلا للدفاع عن بلدي وأرضي ضد أي  
عدوان خارجي.

لقد قرأت كثيراً عنها لأعرف أسرارها، ولا تنسى أننا  
وهي كنا بلدًا واحدًا في يوم من الأيام، ومنا من له  
أقارب فيها.

انتهى اللقاء بصوت الجرس الذي يعني انتهاء فترة الإفطار  
والذهاب لإكمال التدريب.

عاد مرجان مع زملائه لكن التفكير سيطر عليه:

هل حقًا شرقستان سرقت تفكيري؟

هل حقًا فيروز سيطرت علي؟

هل جهاز الهاتف الذي أحضرته معي خلسةً إلى هنا  
كان لأنني لا أستطيع الابتعاد عن فيروز؟  
لماذا أكابر وأقول لا؟  
بل نعم، لأنني لا أستطيع الابتعاد عنها.  
ماذا فعلت بي يا فيروز؟  
إنني هنا من أجل أن أمنع الأعداء من احتلال وطني،  
لكنني نسيت أن أحمي قلبي من الاحتلال.  
لقد احتلت فيروز قلبي وانتهى الأمر، ورغم كل ذلك لا  
أستطيع أن أصارحها بما في داخلي.

سرح بخاطره ولم يشعر إلا والضابط المسؤول يضربه على  
كتفه، ويخبره بفرض عقوبة عليه بالحبس الانفرادي بقية اليوم  
واليوم التالي، وحرمانه من الطعام بسبب سرحانه.  
مؤلمة تلك العقوبات العسكرية.

لماذا ننسى بأن الجندي هو في النهاية إنسان؟  
هو بشر.

صحيح عليه أمور لا بد أن يتنبه لها، لكن لماذا ننسى ذلك، ولا  
نعامله كالبشر عندما يخطئ أو يقصر؟

دخل مرجان الحبس الانفرادي مبتسمًا طالما أن فيروز والتفكير  
بها السبب في ذلك.

كل شيء يهون لأجل فيروز، ولن يكون حبسًا انفراديًا طالما  
فيروز معه في فكره.

مضت الأيام وانتهت الدورة، وعاد مرجان إلى مدينته.

عاد وكم كان لقاءه حميميًا بوالدته وأختيه.

عاد إليهم بعد غياب دام أربعين يومًا.

أسرة بسيطة أنهكتها الأيام، ولماذا نقول الأيام؟

لماذا نضع اللوم دائمًا على الأيام؟

لماذا لا نبحث عن المسببات؟

لماذا لا نعترف بالواقع الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه الآن؟

لا نعترف بالأسباب الحقيقية التي أوصلتنا إلى ذلك؟

هل هو هروب من مواجهة واقع؟

هل هو عدم شجاعة بالاعتراف بحقيقة الأمور؟

أم هو الخوف؟

إنها أسرة تستحق أن تعيش حياة كريمة وهانئة في بلد أضرت  
بأبنائها جوعاً ثم حرباً، وسيكون بالتأكيد هؤلاء الأبناء هم  
الضحية.



في مساء ذلك اليوم أرسل مرجان إلى فيروز ليطمئن عليها  
وعلى جديدها، ثم دار بينهما حوارًا:

- فيروز، هل ستقفين هنا؟
- أتمنى أن أتطور.
- تستطيعين.
- لم لا يكون لديك دكانًا خاصًا باسمك، ثم يصبح بعد ذلك  
سلسلة دكاكين؟
- لا تقفي عند عرض تجارتك بحساباتك، قد يصبح لديك  
شركة في يوم ما.
- مهلاً مهلاً يا مرجان، أنا فيروز ولست بيل جيتس.
- وماذا ينقصك عنه؟
- لكنني لم أجرب ذلك أبدًا.
- ألسنت طموحة؟
- ألم تخبريني عن أحلامك، وأنتِ ستكونين؟
- بلى.
- تستطيعين يا فيروز، وسأقف إلى جانبك.
- لا بد لكِ بدايةً أن تبحثي عن موقعًا مميزًا.

- هنالك متجرًا تركه صاحبه بجوار المكتبة العامة.
- المكتبة العامة، كم هو رائع.
- إنها بشارع السلطان الثاني، قبل سلسلة محلات ملابس الأطفال.
- سيكون موقعًا مميزًا بالتأكيد.
- نعم! كيف عرفت؟
- هل زرت شرقستان؟
- لا يا فيروز، لكنني قد قرأت عنها كثيرًا، وأستطيع أن أصفها أفضل منك.
- لا تستطيع، فهي بلدي وأعرفها أكثر منك.
- هل تريدني أن أرسمها لك دون أن أراها؟
- بل هل تريدني أن أرسمك أنت؟
- وكيف سترسمني يا أستاذ؟
- هل رأيتني؟
- نعم؟
- أين؟؟!
- نعم، لقد رأيتك في مخيلتي، ولقد رسمت صورة لك عندما كنت في المعسكر، عندما تم معاقبتي لسرحاني بالحبس الانفرادي لمدة يومين، فقضيتها في رسم

ملاحك، لدي الرسمة وسأرسلها لك عندما أصورها بهاتفى.

- رائع، متشوقة لرؤية رسمتك يا أستاذ.

كتبتُها بسخرية صحبتها ضحكة خفيفة ثم سألتها:

بالمناسبة يا مرجان، لم لا تظهر بصورتك في وسائل التواصل؟

- لا أريد لصورتي أن تنتشر.

لا أريد أن يعرفني أحد لو وجدوني في مكان ما.

- ولماذا يا مرجان؟

- كما تعلمين أن الأوضاع ليست على ما يرام في

غربستان، والمشكلات هنا كثيرة، والاعتقالات بين

فترة وأخرى لآتفه الأسباب، لذلك أخشى في يوم ما

أن يلفقوا علي أي شيء.

- حسنًا، فهتمت، كان الله في عونكم.

انتهى الحوار الذي دار بينهما في تلك الليلة.

كان حوارًا لطيفًا جدًّا، أغمض بعدها مرجان عيناه وأخذ

بالحديث مع نفسه:

لقد رأيتها، نعم، وستبهر بالرسمه بالتأكيد.  
إن القلب يرى قبل العين، وإن أرواحنا قد التقتا  
وتعرفان بعضهما البعض.  
اعتقد أنها ستتفاجأ، موقن بذلك.  
إنها تشبه رسمتي بالتأكيد، فلقد أتقنتها.

أما فيروز فأخذت تفكر في كلام مرجان:

هل سيستطيع أن يرسمني؟  
هل رسمني فعلاً؟  
بالتأكيد لن يستطيع.

لم تبالي كثيراً بكلامه عن رسمه لها، لكنها بالتأكيد اهتمت  
وسعدت بكلامه الذي قاله لها بخصوص دكانها الخاص، وكذلك  
بدرأيته عن شرقستان.

نعم، فمعرفة مرجان لشرقستان يدل على اهتمامه بكل شيء  
يخصها.

بحبه لها، وحرصه عليها.

ابتسمت ثم واصلت حديثها مع نفسها ..

نعم، ولم لا.

أستطيع أن أحقق ما أريد وأن أكون.  
ليس هناك ما هو مستحيل.  
كم أنت رائع يا مرجان، لقد أحييت فيني الأمل، وكأنتي  
ولدت من جديد.  
إن كلامك رائع بحقي، ويزيد من همتي.  
سأرفع رأس والداي، وسأكون أفضل بالتأكيد، وأرسم  
تجارتي بشكل أكبر.  
ستكون سلسلة دكاكين، ستكون شيئاً كبيراً.  
سأخدم مجتمعي وسأكون.

في صباح اليوم التالي وبينما كانت فيروز نائمة إذ برسالة  
على هاتفها والتي استيقظت على صوتها.

ما هذا إنها من مرجان.

فتحت الرسالة فإذا بصورتها التي رسمها مرجان، قد أرسلها.

نعم إنها رسمة.

صرخت:

كيف أتقنها؟

إنها أنا!

تشبهني تقريباً!

بل بالتأكيد تشبهني!

كيف توقعني؟

متأكدة أنني لم أرسل له بأي صورة لي قط.

هل أنا في صفحة الرسائل، أم في الاستديو الخاص

بهاتفني؟

كم أنا منبهرة من رسمته لي.

أكاد لا أصدق.

مباشرةً ذهبت فيروز إلى صديقتها جيهان، وأخبرتها بما حدث:

- أمتأكدة أنك لم ترسلي له صورتك قط؟
- نعم يا جيهان، متأكدة!
- لربما رأها بالخطأ في تطبيق من تطبيقات التواصل؟
- لا يا جيهان، تعرفيني، ليس لدي صور في وسائل التواصل أبداً.
- هل من الممكن أن والده كانت لديه صورة لك وأنت طفلة؟
- لا.
- لربما والدته وصدفتك له.
- لا يا جيهان.
- لم تشاهدني أبداً، ولم تأتي إلى شرقستان أبداً.
- لكن يا فيروز كيف استطاع مرجان أن يرسمك؟
- بقلبه يا جيهان.
- نعم، أنا متأكدة بأنه تخيلني كما أنا، واستطاع أن يرسمني في أقرب صورة.
- إن مرجان شخص غير الذي رأيتهم أو سمعت عنهم بين صديقاتي وأهلي.

- إنه يفهمني جيداً، ويعرف ما أريد.
- إنه يشبهني تمامًا، ولذلك لا أستغرب من أن يرسمني.
- أتحبينه يا فيروز؟
  - ما هذا السؤال يا جيهان؟
  - لا، لا أحبه.
  - لماذا أحمر وجهك عندما سألتك؟
  - لا شأن لك يا جيهان.
  - هيا اغربي عن وجهي.
  - لم غضبتي؟
  - هو ابن عمك.
  - لا شأن لك.

ضحكت جيهان ثم تركتها.

جيهان كانت تعرفها جيداً، وهي صديقتها المفضلة.

صحيح أنها تعرفت عليها في بداية حياتها الجامعية، لكنها قريبة منها كثيراً.

عادت فيروز إلى بيتها وهي في قمة سعادتها واندھاشها.

نعم.



كانت سعيدة جدًا بالرسم التي رسمها مرجان.

عرفت من رسمته لها كم هو يحبها، فشعرت بشعور جميل ورائع، وفي نفس الوقت كان اندهاشها بشكل غير متوقع، وبدأت بسؤال نفسها:

كيف لمرجان أن يجيد رسمي بهذه الطريقة؟!  
لا أعتقد أن صديقتي نسرين والتي تجيد الرسم وتراني كل يوم في الجامعة تستطيع أن ترسمني بنفس الدقة التي رسمني بها مرجان.  
هل حبه لي جعله يراني بقلبه؟  
هل تلاقى أرواحنا؟  
نعم، أعتقد ذلك، فالأرواح قد تتلاقى، وقد تتنافر.  
لو كنت أجيد الرسم هل سأستطيع رسمه؟  
هل هيئته التي في خيالي تشبهه حقيقةً؟  
لماذا رسمني مرجان؟  
هل هو يحبني بهذا الكم الكبير؟  
لما سألتني جيهان عن حبي لمرجان؟  
هل قرأت ملامحي؟  
هل أنا فعلاً أحب مرجان؟

بعد أن وصلت فيروز إلى منزلها، وبعد أن دخلت غرفتها، أخذت جهاز هاتفها وأرسلت إلى مرجان اندهاشها، فكتبت له:

مرجان ..

رأيت رسمتك.

أنا في حالة انبهار، نعم يا مرجان إنني منبهرة ومندهشة، ولا أستطيع أن أورد على رسمتك لي، والتي لم ترسمني فيها بالفرشاة فقط، بل بفكرك. بإحساسك.

لقد أجدتني، وأعتقد أنك تفهمني جيداً، لا أعتقد أن غيرك يفهمني، بل لا أعتقد أن أحداً في هذا العالم يفهمني مثل ما تفهمني أنت يا مرجان، ولو كنت أجد الرسم لرسمتك وأجدت ذلك كما فعلت أنت.

أشعر يا مرجان بأننا سنكون مبدعين لو اشتركنا في أعمال كثيرة، وسنحقق الكثير، وسنكون أفضل فريق، لأننا نتفق بدرجة لا توصف.

لقد رسمت في داخلي شعوراً جميلاً مثلما رسمت صورتني على تلك الورقة. أشكرك جداً.

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان رسالتها وسعد بها جدًا، وقال في نفسه:

نعم يا فيروز، إنني أفهمك جيدًا، وأحبك جدًا، لكنني لا  
أستطيع أن أخبرك بذلك.

نعم، لا أستطيع فأنا أحترمك لنفسك، ولمبادئك.

سرح بفكره، وكان لديه الكثير ليكتبه لها، لكنه اكتفى بإرسال  
رسالة بسيطة إليها:

فيروز ..

أحيانًا ليست الفرشاة هي كل شيء، ولا كذلك القلم.

أحيانًا لا نرسم على اللوحات كل ما نريده، ولا نكتب على الأوراق كل  
مشاعرنا.

أحيانًا يكون الأمر أكبر من كل شيء.

شكرًا لأنها أعجبتك.

التوقيع

مرجان

قرأت فيروز رسالته وأغمضت عينيها، فأحياناً يكون ذلك أبلغ من كل رد أو حتى تفكير.

في اليوم التالي أخبرت مرجان برغبتها في الحديث معه بخصوص موضوع ما.

فهم مرجان ما تريد، فقال لها وهو يعرف إجابتها:

**أكتبي ما تريدين وسأجيبك لاحقاً.**

أجابته فيروز مباشرة :

**لا ، أريد يا مرجان أن يكون حواراً مستمرًا أكتب أنا وترد أنت مباشرة.**

طلبت ذلك وهي دائماً ما تهرب من الحوارات المباشرة لأنها ترى أنها تريد بعض الوقت لترتيب إجاباتها.

لماذا تخاف من أن تجيب إجابات فورية؟

هل تخاف من أن تجيب مرجان إجابة تخرج من قلبها مباشرة دون أن تراجعها؟

هل هي تفرض رقابة على كل إجاباتها تماماً كرقابة الوزارات على الكتب والمؤلفات، حتى لا تأتي بكلام مخالف لتوجهاتهم؟

لا تريد أن تكشف أوراقها له؟

أن تصدق بمشاعرها نحوه؟

أجابها مرجان بموافقتة حينها، وحددا موعدًا للحوار في اليوم التالي، وكان الحوار:

- مرجان، لم رسمتني؟
- لا يوجد سبب، فقط أحببت ذلك.
- لا، بل يوجد سبب.
- أرجوا أن تخبرني به.
- لا أريد أن أتحدث به.
- المهم أن الرسمة أعجبتك.
- موضوع إعجابي بالرسمة قد تحدثنا عنه سابقًا، لكنني أريد أن أعرف سبب رسمك لي
- من أجل التحدي.
- لكنك رسمتها قبل التحدي.
- لا تراوغ يا مرجان فأنا أعرفك جيدًا.

لم تفتنع فيروز بإجابات مرجان، فمن الصعب أن تتناقش مع مثقفة وتفنعها بكل سهولة.

صحيح أن الأمر جميل جدًا، لكنه من الصعب، ولذلك واصلت حديثها معه:

**إن في الأمر سر يا مرجان وأريد أن أعرفه؟**

سألته ذلك السؤال وهي تعلم إجابته.

نعم، كانت تريد أن تسمعها منه، وهنا وتحت هذا الحصار المحكم من فيروز كانت إجابة مرجان:

**نعم يا فيروز، لأني أحبكِ.**

قال لها هذه الكلمة، وقد كان في حرب داخلية بسبب هل يقولها أم لا.

لم يتوقع مرجان أن تخرج منه بهذه السرعة.

توقع أن يبوح لها بها بعد ثلاث سنوات أو أربع من الآن.

فرحت فيروز بهذه الكلمة كثيرًا. بل وطارت من الفرحة، لكنها كتبتها في داخلها ثم واصلت حديثها:

**تحبني؟**

**إنها كلمة تقال دائمًا دون أن يُحسب لها حسابًا، وغالبًا**

**لا يصدق من يقولها.**

إنها للتسلية وقضاء بعض الوقت لا أكثر.

- لست كذلك يا فيروز.

قلتها لك وأنا أعرف حجم هذه الكلمة.

- هي ليست ككل الكلمات.

كلمة لا تقال باللسان، فالقلب هو من ينطق بها.

هي كلمة يسرح معها الفكر، وتترجم في أفعالنا،

ولإثبات مدى صدقي قد آتى إلى منزلكم قريباً لخطبتك.

- ماذا تقول يا مرجان؟

كيف ستأتي؟

ألا تعلم بالمشكلة التي بين أبي وأسرتك؟

كنت أفكر بها وأحاول أن أجد لها حلاً، إنها معقدة

نوعاً ما.

أسفة يا مرجان لم أستطع أن أفتح معك موضوع هذه

المشكلة، لأنني قد وعدتك بأنني سأحلها ولم أستطع.

نعم، أبي يراكم أقل مكانة.

أنت من غربستان.

نعم، غربستان.

توجد فوارق كبيرة بيننا وبينكم.

أنت تعلم أن غربستان بلد فقير وهمجي، ليس له  
قيمة، ولا مستقبل.

لم لا تأتي إلى شرقستان وتسكن بها أنت وأسرتك.  
سيتحسن حالكم بالتأكيد.

ستكون لكم قيمة أكبر، وعندها قد تتغير نظرة أبي  
عنكم، وقد يتقبلكم.

نفاجاً مرجان بكلامها الذي ذكرته!

أمعقول أن فيروز هي من تقول هذا الكلام؟

أصحيح ذلك؟

- لا يا مرجان، أنا لست كذلك لكن أهلي وشعبي يقولون  
ذلك.

- كيف حكمت يا فيروز بأن هنالك فوارق فيما بيننا؟

فوارق اجتماعية؟

من صنع هذه الفوارق؟

ومن حكم بأنكم أفضل منا وأعلى منزلة؟

هل لأنني من غربستان؟



ألم تقرني التاريخ جيداً يا فيروز؟

لست عنصرياً، ولا أحب الخوض في مثل هذه الأمور،  
لكن هل يموت الحب بسبب هذه النعرات؟  
إذا لماذا تتعاملون معنا بكل شيء، وعندما يأتي الحب  
يبدأ التقسيم؟

لماذا نظلم الحب نقتله في نفوسنا بسبب ذلك؟

- لا تخطئ فهمي يا مرجان فليست هذه أفكارى، لكنها أفكار منتشرة عند الشعب الشرقستاني، وأنت تعلم ذلك جيداً، ثم إن هذا الموضوع لا يصلح للنقاش الآن رغم أنني سأوافق عليك بالتأكيد، فأنت شاب رائع ومتميز، لكن لنتركه لوقت آخر.
- حسناً.
- ليس الآن.
- مرجان، أكن لك كل تقدير، وأعتز كثيراً بمعرفتك، وبأنك ابن عمي وقريبي.
- لتعلم أنني سعيدة جداً بما ذكرته لي، وسعيدة جداً بكلامك الرائع.

إنك تملك حساً مرهفًا، ولا أريد أن أتحدث كثيرًا في  
هذا الموضوع، فأنا فتاة، ولا أريد أن أخرج لك  
بمشاعري تجاهك، وأظن أنك تفهم ذلك.  
- أعرف ذلك يا فيروز.

كانت فيروز سعيدة جدًا بمشاعر مرجان نحوها، وهي كذلك  
تبادلته نفس الشعور.

دخلت تفاصيله ودخل تفاصيلها.

تجمعهما نفس التفاصيل.

نفس الاهتمامات.

نفس الروح.

ونفس الدم.

ليلتها لم تذق فيروز طعم النوم.

كانت مستلقية على سريرها وتفكر في مرجان.

تفكر بسعادة، وفي نفس الوقت تفكر في الكثير، وأخذت تحدث  
نفسها:

**لماذا الحب قصة لا تكتمل فصولها؟**

لماذا توضع الفوارق؟  
لم لا بد من حلقة ناقصة؟  
هل هي حلقة ناقصة أم أن مرجان لا يستحقني؟  
لكنه شاب ممتاز.

هو كذلك، إنه رائع ومتميز.  
إنه فخر الغربستانيين.  
بينما هي كذلك إذ بأخيها المير يصرخ:

لم كل ذلك، هذا ظلم.  
خرجت فيروز من غرفتها مسرعة، فإذا بالمير و أمها يتحدثان  
وأبوها جالس على الأريكة.  
سألت:

ماذا حدث؟  
لماذا تصرخ يا المير؟  
أجابتها أمها بصوت كله حزن:

لقد باع والدك أسهمه في الشركة.  
- ولم؟

- لقد خسرت الشركة مشروعًا كبيرًا، مما جعل أسهمها تهبط في البورصة، وحتى لا تضيع سمعة الشركة، أضطر والدك بحكم أنه يملك 85% من الأسهم لبيع أسهمه فيها للحفاظ على سمعتها ولتنشيط الشركة، لقد باعها لعمك أياز.

لقد خدعه عمك بذلك المشروع من أجل أن يستولي على أسهم الشركة، حيث أنه لم يكن يملك إلا 15%، وكان دائمًا يلح على والدك لشراء جزء من أسهمه ليصبح لديه نصف الشركة، وها هو الآن امتلكها كلها وبأرخص الأثمان.

لقد باعها والدك له بخسارة، مبلغ بسيط لعله ينفعنا للفترة القادمة.

- لا تقلقي يا أمي، سأواصل عملي في متجري الإلكتروني، وسيكون مصدر دخل جيد لنا، وسأفتح دكانًا في القريب العاجل.

نظر الأب إلى أسرته وقال لهم:

أياز لم يخدعني لكنها التجارة، ثم هي ليست الأزمة الأولى كما تعلمون.

سيفرجها الله.

لا أريد أن تهتموه بذلك أبدًا.

نعم، لم تكن المرة الأولى، فقد سبق وأن تعرض والدها لهزة مالية سابقة، وسجن بسببها، وعاد بعدها تاجرًا كبيرًا، لكن الوضع الآن يختلف، فعمها أياز يخطط لأن تكون له الكلمة الأولى في العائلة، فوالد فيروز هو الأخ الأكبر، ولن يستطيع أياز أن يكون هو الرجل الأكبر في العائلة وصاحب الكلمة إلا لو كان صاحب النفوذ الأكبر في العائلة، ولذلك أراد أن يستولي على الشركة كخطوة أولى، ثم بعد ذلك يستولي على المزرعة، أو على الأقل يكون له فيها نصيب، ولن يكون له فيها نصيب هنا إلا أن يزوج ابنه أنمار من ابنة أخيه فيروز.

أنمار شاب مجتهد لا يعرف بماذا يخطط والده، وهو مهندس إنتاج يعمل في نفس الشركة، ويحظى بقبول من الجميع.

يحرص أنمار دائمًا على الخروج مع أبناء عمه جعفر وألمير وإلياس، وهم أخوة فيروز، وقضاء الكثير من الوقت معهم في البحر في صيد السمك، فما تربطهم من علاقة هي بالتأكيد أقوى من علاقة أبناء عمومة، فهم أصدقاء طفولة، وزملاء كانوا في مدرسة واحدة.

أخبرت فيروز مرجان بما حدث مع والدها.

غضب مرجان من ذلك، فلم يرد أن تحدث مشكلة كهذه داخل العائلة.

تألم لذلك، فهو بالتأكيد جزء من هذه العائلة، ولو لم يكن موجودًا معهم.

غضب لذلك، لكنه صبرها وشجعها لأن تواصل وتجتهد، فلكل مجتهد نصيب، وأن الله لن يخيب مسعاها، وسيغنيهم الله من فضله كما منّ عليهم في المرة السابقة واستطاعوا النهوض من جديد، خاصة وهم يملكون فيلا ومزرعةً كبيرة وعمائر سكنية والتي ستعينهم بالتأكيد.

إنها الحياة لا تستقيم ولا تبتسم دائمًا لأحد، فهي معك اليوم ثم غدًا يجد المرء نفسه في مشكلة يراها كبيرة وأنه لن يستطيع تجاوزها، وأن كل شيء قد انتهى، في وقت كان يظن فيه أن كل شيء على ما يرام، فهكذا هي الحياة بكل تفاصيلها.

بعد أن باع والد فيروز أسهم شركته تشجعت فيروز وقررت البدء للتخطيط والإعداد لافتتاح دكانها الذي اقترحه عليها مرجان، فهذا هو الوقت المناسب لذلك، ولا ينبغي التأخير.

رسمت خططها مع مرجان، واستأجرت المحل، وكم كانت سعادتها عندما ذهبت مع أخيها المير لتوقيع العقد.

قامت بعمل ديكور مميز لدكانها، من تصميم مرجان، يحمل عبق وماضي عربستان.

كان تصميمًا جميلًا أعجب به كل من شاهده.

بدأت فيروز بعد ذلك بوضع التحف في دكانها، وطلبت من مرجان بأن يرسل إليها لوحات لعرضها في المحل، وكم كان المحل جميلًا ومميزًا، لكن كمية البضاعة التي به كانت قليلة رغم أنها وضعت به لوحات مرجان والكثير من التحف، فالمحل بالتأكيد كان بحاجة إلى بضاعة أكثر، و ليس الوضع كما الانستغرام الذي يعتمد على الصور.

كان لا بد لها من حل فبحثت هنا وهناك.

أخذت تفكر وتبحث، وأخيرًا وجدت إعلانًا في الانستغرام لشاب يقوم بصناعة التحف.

إنه سامي، سيقوم بصناعة الكثير من التحف المميزة وفي وقت قياسي.

اتفقت فيروز معه سريعًا وخلال دقائق على أن يقوم بإرسال كمية كبيرة من التحف إليها.

بدايةً نشرت أعماله معها في صفحة خاصة في الانستغرام تحت مسمى فيروز وسامي لمناسبات الحب والتخرج، واتفقت معه كذلك على أن جميع التحف بعد ذلك ستكون موجودة في دكانها الجديد الذي افتتحته الأسبوع الماضي.

رأى ذلك مرجان فجن جنونه، ثم أرسل إلى فيروز:

هل انهييت من تعبئة دكانك الجديد بالبضائع يا فيروز؟

- في الطريق إلى ذلك.

سأضيف أشياء جديدة.

نسيت أن أخبرك لقد تعاونت مع شاب اسمه سامي من

بلد الساحل.

- و لم؟



- هكذا.
- وجدت إعلاناً له في الانستغرام، فرأيتها فرصة جيدة.
- وبهذه الطريقة؟
- ما بها يا مرجان؟
- هو يصنع تحف جيدة ومعرضة صور منها في حسابيه، وهي جميلة، تباع عندنا في شرقستان بكثرة وبمبالغ كبيرة، فالناس هنا يحبون مثل هذه الأشياء، وهي مرتبطة بمناسبات الحب والتخرج، وغير ذلك من المناسبات.
- لكن.
- لكن ماذا يا مرجان؟
- ليس في الأمر شيء.
- تستطيعين عمل ذلك لوحدك دون أن تشتركي معه، فنفس التحف يمكن أن تشتريها عند حاجتك لها وبسعر أقل من أسواق عالمية كثيرة.
- لكنها فكرة جيدة وصناعة يدوية.
- لكن يا فيروز لو كان عملاً عابراً أو خدمة بسيطة فلا بأس، أما أن يكون مستمراً وبهذا الشكل، ومرتبطة بمناسبات الحب، كيف ذلك؟

ثم ألم ننفق أن نعمل سويًا؟

- هل أصابتك الغيرة يا مرجان؟

- ماذا تقولين؟

لا ليس كذلك.

- إذت لماذا لا تريدني أن أعمل معه؟

- ليس ذلك ما أقصد.

لكن أن يكون تعاونكما بهذا الشكل، وتحت مسمى  
الحب.

لم لا تغيرين الاسم؟

ولم عملاً مستمرًا؟

ثم أنت لا تعرفينه جيدًا.

- مرجان.

هذا مشروعني وفي عالم التجارة لا يوجد مكان  
للمشاعر، فقط لغة المال هي من تتحدث.

ألا تعلم ما أصاب والدي وأني أريد أن أساعده؟

- نعم أعلم، وسيكون كل شيء كما تريدني وأفضل  
بالتخطيط الجيد.

- أنا أدرى بما يناسبني.

- هذا رأيك؟
- نعم.
- كما تريدین.

تضایق مرجان من ردة فعل فیروز التي لم يتوقعها أبداً، وأخذ يفكر في كلامها إلى أن غلبه النوم.

مضى يوم ويوم، ولم يتواصل مرجان مع فیروز، رغم أنه كان يفكر فيها في كل وقت.

في اليوم الثالث أرسلت له فیروز:

مرجان.

لقد نصب علي سامي.

قمت بتحويل ألف وتسعمائة دولار له قبل أيام للبدء بالعمل ثم أغلق حسابه بعدها، ولا توجد وسيلة تواصل لي معه أبداً.

بحثت عنه اسمه في تطبيقات أخرى دون فائدة.

قرأ مرجان الرسالة ثم ترك هاتفه وواصل عمله.

كان مرجان متأثراً كثيراً بحديث فیروز الأخير معه، لكنه رغم ذلك أمسك هاتفه مرة أخرى سريعاً وأرسل لها:

لا عليك يا فيروز.

اخصمي المبلغ من حقوقي من بيع اللوحات.

قرأت فيروز الرسالة ثم دار بينهما حديث:

شكرًا لك يا مرجان.

أنت ليس لك ذنب.

- لكننا شركاء في النجاح والفشل، و لا تنسين كذلك أنك

ابنة عمي وأريد أن أشعر بقرابتك لي.

- اعتذر منك يا مرجان.

لقد كنت قاسيةً معك.

لا أعرف ماذا أقول لك.

- لا بأس، لم يحدث شيء على الإطلاق.

- الحياة تجارب، وكل إنسان لا بد له من أن يستفيد من

تلك التجارب.

- صحيح، فهكذا هي الحياة، وبالنسبة للخسارة التي

حدثت سنعوذها معًا، لا تقلقي أبداً بشأن ذلك.

مضت الأيام واستطاعت فيروز أن تعوض ما خسرتة بعد أن

عرض عليها مرجان تاجرًا يقوم ببيع تحف فرعونية قديمة،

فقاما بشرائها من التاجر، وباعتها فيروز بسعر أكبر بكثير مما

تتوقع، ثم أشرت منه كامل الكمية بعد ذلك، وباعتها في دكانها الذي اسمته (فيروز للتحف والنوادر)، إلى أن أصبح لديها مبلغًا كبيرًا جدًا.

### لقد عوضك الله خيرًا يا فيروز.

بهذه الكلمات كان تعليق مرجان لما حدث لفيروز.

كانت فيروز تمر يوميًا على دكانها الذي وضعت عليه أحد أبناء شرقستان الذي اختاره لذلك شقيقها إلياس ليعمل فيه، وكان رجلًا أمينًا، وكان مرجان يراجع وينظم لها حسابات دكانها، والتي كانت ترسل له يوميًا كشف بيانات مبيعاته، وكذلك حسابات حسابها في الانستغرام.

مضت الأيام ودكانها يتطور ويتقدم ويحقق مبيعات جيدة، خاصة مع تلك الاقتراحات التي يقدمها لها مرجان، والتي كانت تسعد بها فيروز كثيرًا وتهتم بها.

جاهد والد فيروز للنهوض من جديد، واستطاع بعد فترة من افتتاح مكتب مقاولات في مدينته، وأصبح للمكتب عملاء جيدين، لكنه بالتأكيد يبقى عملاً بسيطاً مقارنةً بالشركة التي كان يملك 85% من أسهمها.

تحسنت حالته المادية كثيرًا وبدا ذلك واضحًا عليه.  
إنه فرج الله، ثم جده واجتهاده وخبرته الكبيرة في مجال المال والأعمال.  
تلك الخبرة التي كان يعطي منها ابنته فيروز عصارته، فجمعت بين خبرة والدها ودراستها الأكاديمية، فكان مزيجًا رائعًا ساهم بشكل كبير في تطورها، إضافةً إلى وقوف مرجان بجانبها.

في أحد الأيام، وأثناء عودة مرجان من عمله، رأى احتفالاً بسيطاً في منزل جيرانهم، ورأى والدته ذاهبةً إلى هناك.

سألها عن ذلك، فأخبرته بأن رستم قد تمت خطبته من فتاة عربية تقيم في السويد مع أسرتها.

نعم إنه رستم، ذلك الشاب الذي غادر غربستان مهاجرًا لا يملك شيئاً، لقد تحسنت أحواله كثيرًا، فقد أصبح تاجرًا كبيراً في السويد، وسيدخل الانتخابات البلدية قريبًا بعد أن أصبح يحمل الجنسية السويدية، والآن يخطط لأن يجلب أمه وشقيقته أخيه الأصغر إلي هناك.

سعد بذلك مرجان، وكان يتوقع لرستم أن يحقق الكثير، فهو شاب ذكي، وكان بحاجة فقط إلى فرصة حتى يكون.

اتصل عليه مرجان مباشرة لتهنئته:

مبارك عليك يا صديقي.

- أهلاً عزيزي مرجان، إنه ليوم رائع أن تتصل بي.

- مبارك عليك.

بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما على خير  
يا رستم.

- وأنت كذلك، وسنفرح بك لا محالة، كم أتمنى ذلك يا  
مرجان.

كيف حالك؟

- بخير والحمدلله.

- أما آن الأوان لأن نلتقي؟

- أتمنى ذلك

- لم لا تأتي يا مرجان؟ سيكون لك شأن عظيم هنا.

- كيف آتي؟

لقد تحدثنا كثيرًا في هذا الموضوع.

- أعرفك، فأنت عنيد منذ الطفولة.

ما هي أخبار صديقنا أختر؟

- ذهب إلى كندا، وهو الآن جراح مشهور في أكبر

مستشفياتها.

- لقد كان يبحث عن عمل في غربستان، أتذكر؟

- نعم، وذا ما يؤلمني، أنه لم يجد التقدير هنا.

- كلنا لم نجد التقدير.



إنهم هنا في أوروبا يعاملوننا كبشر، ولا يفرقون بين مواطن ومقيم، في الوقت الذي نجد الفارق الكبير في سوء معاملة المقيم في غربستان، ولو كان من مواليدها، دون مراعاة لحقوقه الإنسانية.

- نعم، صحيح للأسف.

سمعت أنك حصلت على الجنسية السويدية؟

- نعم، لقد حصلت عليها منذ فترة قريبة بسبب تجارتي وحسن سيرتي، وبالطبع لم أتنازل عن جنسيتي فأنا الآن أحمل جنسيتين.

- أخشى أن تنسى غربستان يا رستم.

- لا يا مرجان فأنت تعرفني جيداً.

هل تعتقد بأنني سأنسى غربستان؟

هذه بلدي، وأتمنى أن تتطور، وسأعود بالتأكيد،

وسأسعى لأن تكون في أفضل حال.

أتمنى أن تعود وشرقستان دولة واحدة كما كانتنا سابقاً.

لقد عانينا في بلادنا كثيراً يا مرجان، وخرجنا منها ونحن كارهون.

هل تظن بأنني سعيد لحصولي على جنسية أخرى؟

بالتأكيد لا، كم كنت أتمنى أن أرفع اسم بلدي عاليًا،  
لكنه الظلم.

- صحيح يا رستم.

إن الكثير ممن هاجر أصبحت له جنسية أخرى.  
إن ذلك يعتبر خسارة لغربستان بالتأكيد، لكنهم  
مضطرون لذلك لا محالة، وها هي غربستان تدفع ثمن  
ذلك.

إنه ليس من السهل أن تذهب جهود أبناء البلاد إلى  
مكان آخر لأن بلادهم لم يقدرهم ولم يصنع لهم قيمة.

- هنا فقط في السويد شعرت بقيمتي كإنسان، إنهم  
يحترمون إنسانيتك يا مرجان.

- نعم، ولكن لا تنسى يا رستم أن الحرية في بلاد الغرب  
مهما كانت فلن تكون كاملة.

- نعم صحيح، لكن في غربستان لا توجد حرية من  
الأساس حتى نقول أن الحرية في بلاد الغرب ليست  
كاملة.

على الأقل يا مرجان أن صوتك في بلاد الغرب  
مسموع، وانظر إليّ، سأدخل قريبًا الانتخابات البلدية،

فهل كان سيتحقق ذلك لي في غربستان أو حتى لك أو

لأي إنسان اجتهد؟

في غربستان لا يوجد صوت يُسمع، فلقد قتلنا

الصمت، ولم نستطع تغيير أي شيء.

- نعم صدقت، لقد حاولنا لكن ثِقْ أنك ستسمعون صدى

صوتنا لا محالة.

ثِقْ يا رستم أنه مهما طال الزمن سيتحسن كل شيء

هنا.

نحن بحاجة إلى الكفاح وإلى الوقت وسنصل.

لا بد من الصبر.

- نعم لا بد من الصبر يا مرجان لكن الأمور لا تبشر

بخير أبداً، وليست هنالك خطوات صادقة للتطوير

والتقدم من قبل النظام، فكلها وعود لا تمت للواقع

بصلة، وليست هنالك مؤشرات حقيقية لتحقيق التغيير،

فشعبنا مسلوب الإرادة، وعلى العموم فأنا أتمنى ذلك

بالتأكيد، فمهما حصل تبقى جذوري غربستانية، بل

غربستانية، فنحن وشرقستان بلد واحد كما ذكرت لك

قبل قليل.

- بالتأكيد.

انتهى الحوار بينهما ولم تنتهي أبدًا تلك الأسئلة التي يفكر بها  
مرجان ويقبلها في مخيلته، بل هي كذلك في مخيلة كل  
غربستاني وغربستانية:

لم كل ذلك؟ ولم نحن هكذا؟

لم ليس للإنسان قيمة هنا؟

ألسنا مسلمين؟

أليس الإسلام من أعطى للإنسان قيمة ذكورًا وإناثًا؟

لم لا يكون للإنسان قيمةً هنا كما حدد ذلك الإسلام؟

لماذا الغرب فقط من يفعل ذلك وهو البعيد كليًا عن

الإسلام؟

صحيح أنه لم يطبق كل ذلك، لكن على الأقل هناك

قيمة للإنسان؟

لماذا أصبحنا متأخرين ونحن الذين قد قدنا العالم؟

متى سنعود وستكون لنا قيمة؟

لم لا يعلمون أن قيمة أي بلد من قيمة الإنسان فيها؟

لم لا يعلمون أن الوطن يصنع الإنسان، وبقدر صناعته

للإنسان ستكون للوطن قيمة.

مرت الأيام، وفي يوم وأثناء تصفح فيروز للانستغرام وجدت فتاة من غزة اسمها روان تعرض لوحة لمرجان عليها توقيعها في متجرها الإلكتروني.

مباشرة أغلقت التطبيق وأرسلت إلى مرجان:

- مرجان، هل عرضت لوحاتك في مكان آخر؟
- لا أذكر، آه، نعم صحيح لقد طلبت مني فتاة من فلسطين أن تعرض إحدى لوحاتي في متجرها وقدمتها لها كهدية.
  - كيف ذلك؟
- لماذا أعطيتها اللوحة؟
- منذ متى اتفقتما؟
- هل تحدثتما في أمور أخرى؟
- لا يا فيروز كان ذلك منذ يومين.
  - لقد أشفقت عليها.
- إنها فتاة فقدت والدها في الحرب، وتريد أن تطعم أسرتها.
- لم تخبرني أن عمك كمتطوع في الإغاثة يشمل كذلك من هم خارج غربستان، ثم هم في فلسطين ليسوا

بحاجة لمن يساعدهم، فهم يبيعون أرضهم، وليسوا  
بحاجة لأن يبيعوا لوحاتك يا مرجان.

- ومن قال أنهم ليسوا في حاجة لمن يساعدهم؟ أنهم  
يبيعون أرضهم؟

- ألم تسمع وتقرأ عن ذلك؟

- كله كذب يا فيروز.

هؤلاء الذين يقولون ذلك في الإعلام يريدون فقط أن  
يبرروا لتقريبهم من الكيان الصهيوني المسمى إسرائيل  
وتطبيعهم معه، ولذلك هم يشتمون فلسطين  
والفلسطينيين.

- الإعلام لا يكذب.

هل نسيت بأنه إعلام بلادي.

- ولو كان إعلام بلادك، لا يعني ذلك أنه صادق، ولا

تصدقي إلا الحقيقة، فأهل فلسطين يعانون، وهم

يضحون بأبنائهم وأنفسهم من أجل القضية، ومن أجل

الحفاظ على الأرض والمسجد الأقصى.

- وماذا تقول عن الذين هم خارج فلسطين وتركوا

ديارهم، وتركوا فلسطين، وباعوا منازلهم لليهود.

- خروجهم من فلسطين لا يعني خيانتهم، قد يخرج الواحد منهم بأبنائه عندما يُهَجَّر من أرضه ولا يجد لهم مكانًا ليناموا فيه، فيضطر للخروج بحثًا عن مأوى لهم، و ليهود لم يشتروا أرضهم بل اغتصبوها، أو أن هنالك من خدعهم أو استغلهم.

- لقد أحسنا إليهم كثيرًا يا مرجان ولم نستفد من ذلك شيئًا.

إنهم يشتموننا فقط، ونحن نحسن إليهم.

- جزاء الإحسان عند الله وحده إن كان حقًا هنالك إحسان صادق وليست لعب سياسية، وهم لم يشتموننا أبدًا، لكن أحيانًا قد يكون هنالك ردة فعل من بعضهم تجاه خيانة البعض منا لهم.

إنهم يذوقون الموت يوميًا، ويرون من بعضنا التساهل والتعاون مع من كان سبب في قتلهم وتهجيرهم.

- لا تهمني قضية فلسطين على العموم.

ما يهمني هو بلدي فقط.

- من الخطأ قول ذلك، فقضية فلسطين قضيتنا جميعًا، وهم أوجدوا اتفاقية سايكس بيكو وقسموا الحدود بيننا حتى لا يشعر أحدنا بالألم الآخر، ويبقى الألم فقط في

منطقة صغيرة من عالمنا الكبير، تمامًا كما فعلوا مع  
عربستان وقسموها إلى نصفين لا يشعر أحدهما  
بالآخر.

إنهم أوهمونا أنها قضية أرض بينما هي قضية أرض  
وقضية دين يجمعنا جميعًا، وبالتالي ليس هناك  
إحسان ولا منة لأحد، بل هو واجب فرضه دين ننتمي  
إليه.

إن فلسطين هي الجدار الأول الذي لو سقط سنسقط  
جميعًا من بعده، لأن فلسطين بالنسبة لهم مرحلة نحن  
التالي منها.

- لنعد لموضوعنا، اسحب الإعلان فورًا منها.

- لماذا يا فيروز؟

- هكذا.

أنا فقط من تبيع لوحاتك يا مرجان، أو سأتوقف عن  
بيعها.

- ولكن!!

توقفت فيروز عن المحادثة.

لقد غضبت، وأخذت تحدث نفسها:



من هذه روان؟

وبالتأكيد تحدثنا عن الرسم وجمال الألوان.

إنها الغيرة التي سيطرت على فيروز.

لم تتم فيروز من ليلتها ولم ترد على رسائل مرجان.

مر يومان، وأخيرًا ردت عليه:

نعم يا مرجان ماذا تريد؟

- لما لم تجيبي على رسائلي.

- أنت تعرف لماذا؟

- طلبت مني لوحة وأعطيتها.

- وأنا؟

- أنت ماذا؟

- ألسنت من تبيع لوحاتك؟

- بلى .

ولكن هي لوحة واحدة.

- مرجان، إذا أردت أن أبيع لوحاتك لا تعرضها عند

أحد.

- لكن أحد أصدقائي عرض لوحة لي قبل فترة ولم

تعترضني.

- روان، لا.
- ولم؟
- هكذا، إن أردت أن استمر في بيع لوحاتك فسأكون البائع الحصري لها، وإن أرادت روان أو غيرها لوحة حتى لو هدية لا بد أن تتواصل معي أنا.
- ثم لا بد أن أوقع معك عقدًا على ذلك.
- هل فهمتي الآن يا فيروز لم كان اعتراضى على سامى؟
- لم لا تردى؟
- لم تفهمينى وقتها، أو أنك لم تريدى أن تفهمى ذلك.
- من الصعب الآن أن أسحب هدية قدمتها لأحد، لكن لن يحدث ذلك مستقبلاً.
- أعدك بذلك.

نعم، فيروز عنده أهم من كل شيء.

هو لم ينتبه أن تعامله مع روان سيكون له ردة فعل سلبية من قبل فيروز.

هو لم يعرف أن نار الغيرة ستشتعل عند فيروز كما اشتعلت فيه قبل ذلك.

الغيرة غير حب التملك، نعم.

هنالك من يخلط بين الغيرة وبين حب التملك، وهنالك من يبرر حب التملك لديه على أنها غيرة.

ليست الغيرة هي المشكلة، فوجودها أمر طبيعي، ولو كانت مفقودة لما كان هنالك حب، لكن المشكلة أن تتحول لحب تملك.  
أن تقيد الحب.

الحب معانيه سامية جدًا وعميقة.

نعم، عميقة جدًا.

راقية، وكل ما يصاحب ذلك الحب لا بد له أن يكون بذلك الرقي وذلك العمق، فالغيرة عميقة، وحب التملك كبت للحرية، وسوء يصدر من صاحبه، وغرور ينظر به مدعي الحب إلى ما يُرضي به نفسه وغروره.

نعم هو ادعاء حب لا حب، فالحب كما ذكرنا راقى وعميق يسمو بكل ما يصاحبه وبالتالي الغيرة إحداها، ويرتقي كذلك بصاحبيه، ويغوص في أعماقهما ليستقر بداخلهما، ولا خروج.

الغيرة لا تكبت الحرية كما ذكرنا لكنها تسمو بها، بينما حب التملك قتل للطرف الآخر وتنمر أبيض بحجة الحب، وبحجة الخوف.

إن الكثير من الناس لا تفرق بين الغيرة وبين حب التملك وتخلط بينهما، أو تسيء فهم كل منهما، ولذلك كثيرًا ما يفشل الحب عند هذه النقطة.

بعد يومين لم تكن اللوحة في متجر روان، فقد باعها بثمن جيد. نعم لم تعد موجودة في ذلك المتجر والذي أصبحت فيروز تزوره كل يوم.

بحثت فلم تجدها، ثم مباشرة أرسلت رسالة استفسار لمتجر روان تقول فيها:

هل تتوفر عندكم لوحات الرسام مرجان؟

- ل.

كانت لوحة فقط وتم بيعها.

- هل ستجلبون لوحات أخرى؟

- لا أظن ذلك، لكن قد نطلبها من وكيلته الحصرية كما

أخبرنا لو أردت لوحة من لوحاته.

- شكرًا لكم.

فرحت فيروز بذلك وتنفست الصعداء.

تنفست الصعداء، ورغم ذلك لم تظهر شيئًا.

كتمت بداخلها وكأن شيئًا لم يكن.

أظهرت وكأن الأمر حقوق حصرية وليست غيرة.

نعم هي غيرة.

تلك الغيرة التي ما عذرت فيها مرجان، وها هي يجن جنونها

حتى أوقفت كل شيء.

لكن لم هي كذلك في عدم إظهارها أنها غيرة؟

لماذا تخفي حبها؟

لماذا تظهره على أنه تقدير فقط؟

لماذا أحياناً نتعمد إخفاء مشاعرنا ثم نندم إذا تطور الأمر وفقدنا

من نخفي حبه بسبب عدم إظهارنا لأي شيء؟ وعندها هل

سيفيدنا غرورنا؟

هل سيفيدنا كبريائنا المزعوم؟

وهل هو حقًا كبرياء أم تكبر؟

أم هو خوف من ردة فعل مجتمع؟

واصلت فيروز متابعة متجراها ومتابعة دراستها، وواصل  
مرجان أعماله.

في أحد الأيام وأثناء وجبة الغداء أخبر والد فيروز عائلته بأن لديه خبرًا سعيدًا.

نظر الجميع إلى أبيهم.

منذ مدة لم يسمعوا خبرًا يجلب لهم السعادة.

نظرت الأم وقالت:

وما هو؟

لقد تشوقت إلى معرفته.

- اتصل علي أخي أياز، وأخبرني أنه يريد أن يخطب

فيروز لابنه أنمار.

- رائع.

إن أنمار شاب طيب بعكس أبيه.

ابتسم أخوة فيروز لهذا الخبر، وهم أصلًا كانوا يتوقعون خبرًا كهذا، فأنمار دائم التواجد معهم، ويحبهم ويحبونه، لكن فيروز تغيرت ملامحها، وقامت من على طاولة الطعام متوجهةً إلى غرفتها.

تعجبت الأسرة من ذلك، فأنمار شاب جيد، ولم يتوقعوا أبدًا أن تستاء فيروز من ذلك.

بعد أن انتهت الأسرة من وجبة الغداء دخل والد فيروز على ابنته في غرفتها، ودار بينهما حوارًا:

هل ضايقتك ذلك يا فيروز؟

- أنا لا أفكر حاليًا في الزواج.

أريد أن أنهى دراستي أولاً وأهتم بتجارتى.

- لكن أنمار شاب جيد، وهو ابن عمك ولن ينتظر.

- إذاً ليتزوج بأخرى.

- لماذا يا فيروز؟

- لا أفكر بالزواج الآن.

- لا تفكري بالتجارة يا ابنتي، ولا بأي شيء.

كل شيء سيكون على ما يرام.

فكري بأمر زواجك جيداً ولن استعجل بالرد عليهم.

خرج والدها من غرفتها لكن فيروز مازالت تفكر.

ماذا يعني أن أتزوج أنمار؟

هل ينتهي كل شيء مع مرجان؟

ماذا أفعل بحبي له؟



هو كذلك يحبني.

وهو كذلك ابن عمي.

هل سينتهي كل شيء؟

فتحت هاتفها وكتبت مباشرة إلى مرجان:

مرجان ..

لم لا يصل المرء إلى هدفه طالما أنه يسير في الطريق الصحيح، وطالما أنه يتجاوز العقبات؟

لم المسافات؟ ولما وجدت الصعاب؟

لم شرقستان؟ ولم غربستان؟

لم أنا هنا؟ وأنت هناك؟

لم البحر بيننا؟

لم لا نصل طالما هنالك من وصل؟

نعم، الكثيرون من غربستان وشرقستان ولم يقف بينهما شيء.

هل ظروفك السبب؟ هل أنا السبب؟

هل صمتي؟ لو كان الصمت سأصرخ.

نعم سأصرخ ولن أبالي، فقط أتمنى أن يتحقق كل شيء وأن نصل معًا.

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان الرسالة وتفاجأ بما كتبت فيروز  
هو يعرف كل ما في داخل فيروز من مشاعر، لكن لم يتوقع أن  
تبوح بها بهذه السرعة .  
لا بد أن هنالك شيء ما قد حدث.  
أخذ هاتفه مرة أخرى وكتب لها:

فيروز ..

وجدت المسافات لنجتازها، ووجدت الصعاب ليصل من هو متمسك بالوصول.  
لا يفرش الطريق بالورود، فالورد تنتظرنا في نهايته.  
الحب ينتصر في النهاية طالما أردنا له ذلك وطالما قدمنا له ولم نستسلم.  
طالما سقيناه بعزيمتنا فإنه سيكبر.  
أعدك أنني سأصل إليك وأنا سنلتقي في الطريق طالما لم نغادره.

التوقيع

مرجان

أرسلها مرجان، وارتسمت على وجهه ابتسامة رغم القلق الذي أحاط به.

ابتسامة لأن فيروز لأول مرة تصرح له بحبها، وقلق أحاط به بسبب أن ذلك لم يكن متوقعًا منها، أو أن هنالك شيء ما قد حدث لها مما جعله يكتب لها بعد ذلك:

هل حدث شيء يا فيروز؟

- نعم لقد تقدم لي ابن عمي أنمار.

- أنمار؟

لم يستطع مرجان أن يكمل المحادثة، لكنه تماسك ثم سألها:

وماذا كان ردك؟

- بالتأكيد غير موافقة.

لكن والدي ووالدتي يصرون عليه، وأنا لا أريد.

- لا بد أن يتفهم والدك أن القرار قرارك وحدك.

- بالطبع قراره وحدي، رغم أن زواجي منه سيحل

الكثير من الأمور بين والدي وبين عمي أياز.

- الزواج ليس صفقة تجارية يا فيروز.

- نعم أعرف ذلك، ولا يمكن لأبي أن يفكر بهذا التفكير

مهما يكن.

- ماذا لو تقدمت لك؟
- هل سيوافق أهلك؟
- ماذا!
- تتقدم لي !
- نعم، لما استغربتِ ذلك؟
- ألم أخبركِ بذلك مسبقاً؟
- لا، تفاجأت فقط.
- هل تحبني يا مرجان؟
- نعم، وأنتِ تعلمين ذلك، ولا أريد غيركِ.
- وأنتِ هل تحبينني يا فيروز؟
- ماذا تقول يا مرجان!!
- أجيبني حتى اطمئن.
- ذكرت لك ذلك في رسالت .
- إذاً أجيبني.
- هل سيوافق والديك الآن؟
- لا أعتقد.
- لكنني كذلك ابن عمكِ.
- نعم أعرف.
- إذاً لماذا؟

- قد تحدثنا عن ذلك سابقًا.
- أنت شاب مجتهد، ولديك شهادة جامعية، و لا بد لأبي أن يتفهم ذلك، لكن لا أعلم لم لا يريد أن يتفهم ذلك.
- إذا سأرتب أموري لذلك وسأخبره.
- هكذا!
- سريعًا؟
- نعم .
- أخشى لو انتظرت أن أخسر كل شيء.
- لا تقلق من هذا الجانب أبدًا فالقرار في النهاية سيكون قراري أنا وحدي، وأخشى لو استعجلت دون أن يكون كل شيء مرتبًا أن تجد ردًا لا يسرك.
- هل ما زالت نظرتة عنا كما هي؟
- نعم، لكن لا بد وأن يتغير كل شيء، وسأحاول أن أصل إلى ذلك.
- أتمنى ذلك، وأتمنى أيضًا أن يكون كل شيء كما تريدين، وسأتي لخطبتك يومًا قريبًا بحول الله.
- لا بد من ذلك.
- نعم.
- بحول الله.

انتهى الحوار بينهما ولم تنتهي حيرة مرجان، فهو يخشى أن يخسر فيروز.

وضعه ليس سيئاً، وسترحب والدته وأسرته بالفكرة، لكن المشكلة هناك.

في شرقستان، ورغم ذلك يبقى الأمل.

نعم، ذلك الأمل الذي لا بد له من أن يبقى وينمو لنستطيع أن نعيش ونحققه، لا أن يموت وتموت أحلامنا.

سيكون كل شيء كما نريد، فقط لو أردنا ذلك.

نعم.

هي الإرادة.

الإرادة الصادقة، والرغبة، ثم التصميم، وبدون كل ذلك لن يتحقق شيء ولن نكون.

لن نصل لما نري.

لن يعيش الحب لو تخلينا عن إرادتنا ورغبتنا.

لو لم تكن صادقين فيه.

لو فرطنا فيه من أول الطريق أو خلاله.

سنصل فقط عندما نريد أن نصل.

وسنصل.

أخبر مرجان والدته برغبته في خطبة فيروز، والتي رحبت بالفكرة بدايةً وفرحت بذلك، خاصة وأن فيروز فتاة ناضجة وعاقلة، لكنها تخشى من عدم موافقة والدها.

لم تكن تريد أن يتأثر ابنها من ردة فعل أهلها، ولذلك أمرته بالتريث.

بالانتظار والبحث عن حل.

خطرت في بالها فكرة في ظل الظروف الراهنة والتي يصعب من خلالها السفر إلى شرقستان بحكم إغلاق الحدود بين البلدين، وأن أي غربستاني وحتى يصل إلى شرقستان لا بد له وأن يصل إلى شرقستان عن طريق بلد آخر.

كانت فكرتها أن تتواصل مع والدة فيروز وتتحدث معها، فهي امرأة طيبة كما سمعت عنها، ومن أصول غربستانية، ومن قرية قريبة من قرينتها، والله سييسر كل شيء طالما أن مرجان عازم على الزواج، فكما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم



قال: (ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،  
وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاةَ).

تحمس مرجان للفكرة، وأخبر فيروز بذلك والتي رحبت بالأمر  
بدايةً، لكنها كانت مترددة.

نعم، هي مترددة، فالأمر أبداً ليس بتلك السهولة التي يراها  
مرجان، ومن وجهة نظرها فلن يكون لوالدتها أي تأثير في  
تغيير قناعات والدها.

صمت مرجان، فالأمر لها أولاً وأخيراً، وهي تقرر ما تراه  
مناسباً، واحترم رغبتها في الانتظار، لكنه يخشى من أن يكون  
انتظاراً تضيق معه أشياء كثيرة، وهي تخشى من عجلة قد  
يضيق معها كل شيء.

مضت الأيام سريعاً، وزاد الاقبال على دكان فيروز، والتي زادت من كمية البضائع عن طريق الأرباح التي حققتها، فكلما زاد رأس المال زاد الربح.

والدها كان يراقب نشاطها ويطلع أحياناً على كشف المبيعات، فكان يشجعها تارة، ويطلب منها الاهتمام بدروسها تارة أخرى. كان يرى بأن فيروز تتقدم في تجارتها.

كان يرى بأنها تتطور وتزداد أرباحها باستمرار.

كان والدها فخور بها وبتجارتها.

### الدراسة مع الخبرة ستصنع منها شيئاً عظيماً.

بهذه الكلمات خاطب والد فيروز أم فيروز عندما وجدته يشجع من ابنته، ولامته على ذلك.

كانت تقول لوالد فيروز بأنها تريد أن ترى ابنتها عروس بدلاً التجارة.

كانت تناقشه في تشجيعه لابنته وتستغرب، وهو الحريص على زواجها:

لم تشغل فيروز نفسها بأمور التجارة؟

- وماذا في ذلك؟
- سيشغلها ذلك عن مستقبلها، واستغرب ذلك منك وأنت الحريص على زواجها.
- اتفق معك، وأتمنى لو تترك كل شيء، لكنها هي تريد ذلك.
- لم لا تضغط عليها؟
- لا أستطيع أن أفعل ذلك، فالقرار قرارها، وأخشى لو فعلت ذلك أن تظن بأنني قد استغل زواجها لأسترد تجارتي من أخي أياز، رغم أنني أريدها أن تتزوج من أنمار فقط لأنه شاب جيد، لكن حاولي أنتِ معها.
- لقد حاولت مرات عدة معها دون فائدة.
- وأنا كذلك، ولذلك لنترك لها حريتها.

نعم، لقد حاولت والدتها عدة مرات ولم تصل إلى نتيجة مع فيروز.

أصبحت فيروز حادة المزاج من كثر محاولات أهلها معها حتى أصبحت كالخائفة.

نعم خائفة، وتائهة في نفس الوقت.

خائفة من أن تلام في المستقبل من تمسكها برأيها، فالأهل وإن تظاهروا بترك الحرية لها في قرارها فبالتأكيد سيلومونها يوماً ما على قرارها لو حدث شيء ما.

وتأهية لأن كثرة محاولات أهلها معها أشعرها وكأنها اختارت الطريق الخطأ.

حرية الرأي دائماً مهددة.

ليست لدينا في عالمنا العربي مساحات من الحرية في أن نتخذ ما نريد دون تأنيب.

نعم.

قد يتظاهر من أمامك بأنه أعطاك مساحةً من الحرية لاتخاذ ما تريد، لكنه بالتأكيد مستعد لأن يلومك لو فشلت في قرارك.

لو لم تكن النتيجة جيدة، أو ليست بالمستوى المأمول، ولذلك نشعر بالضغوطات الكبيرة ونحن نقرر، وهذه بالتأكيد ليست حرية حقيقية بل هي حرية مزيفة.

نعم هي حرية مزيفة، لأن الحرية ليست فقط في ترك مساحات للمرء بأن يتخذ قرار ما، لكنها كذلك في عدم تأنيبه على نتائج قراره.

في عدم لومه، بل تشجيعه للنهوض من جديد.

نعم للنصح.

نعم للتوجيه، لكن لنترك التأنيب جانبًا فهو قتل للحرية وقتل للمرء.

هنالك فرق بين النصح والتوجيه، وبين الضغط والتخويف، لنفهم ذلك جيدًا.

في صباح أحد الأيام أعدت فيروز القهوة ذهبت بها إلى والدتها التي كانت تجلس في حديقة المنزل.

أخذهما الحديث.

استغلت والدة فيروز الفرصة وأعدت الحديث معها بخصوص أنمار، وأنه شاب جيد:

لم لا توافقني يا ابنتي؟

إن أنمار شاب طيب، ولا تظني أن والدك يريدك أن تتزوجيه لتحقيق مصلحة.. لا، فهو زوجي وأعرفه جيداً، وهو يحبك لن يجعلك تدفعين ثمن لشيء ما مهما يكن.

ثقي بذلك، هو يريد مصلحتك أنت فقط.

- أعرف ذلك ومتأكدة منه يا أمي، وأعرف كذلك أن أنمار شاب طيب ومثابر، لكنني لا أريد الزواج منه.
- ولم؟

هل هنالك أحد آخر تريدينه؟

أخبريني فأنا أمك.

- أريد أن أوصل دراستي يا أمي؟

- موضوع الدراسة ليس هو المشكلة.
- لكن.
- لقد حدثتيني سابقًا عن مرجان ابن عمك الذي في غربستان، والذي يقوم برسم لوحات لمتجرك.
- أعرف أنه شاب مجتهد ومكافح.
- هل تفكري فيه؟
- لا.
- أنا أعرفك جيدًا يا فيروز.
- مرجان وحتى لو لم تكن هنالك مشكلة بين والدك ووالده رحمه الله لن يكون الشخص المناسب لك، فليست المشكلة في موافقة والدك.
- هل تظنين يا فيروز أنني سأرضى أن تذهبي إلى غربستان لتعيشي هناك؟
- هل هذا منطوق؟
- لو كان مرجان في شرقستان سيكون الأمر مقبولاً نوعاً ما، لكن غربستان بلد فقيرة، والحروب مشتعلة فيها.
- إنها مازالت تعاني من ويلات الحروب، ومن الصعب أن يرسم المرء فيها مستقبلاً.

افهميني جيداً يا ابنتي، ليست لدي عنصرية تجاه  
غربستان، ففيها قريتي التي ولدتُ فيها ونشأتُ بها،  
لكني أخطبك بالمنطق.  
فكري بعقلك.

لو كان مرجان من تريديه فأنتِ تسيري في الطريق  
الخطأ، ولو كان السبب دراستكِ فالأمر هنا قابل  
للنقاش.

هكذا خاطبتها والدتها.

خطاب حضر فيه العقل وغابت عنه العاطفة، وغابت معه  
فيروز بحيرتها.

نعم، أصبحت فيروز في حيرة كبيرة من أمرها.

لا تعرف ماذا تفعل أو تقرر.

تأهية لا تدري إلى أين ستسير.



مضت الأيام وبدأت شرقستان باحتلال جزيرة من جزر  
غربستان، واعتقال شبابها.

مات الكثير من النساء والأطفال، وانتشرت صور للمآسي  
هناك.

بكى مرجان وبكى أهل غربستان.

أراد مرجان التوجه لجبهات القتال والدفاع عن أرضه وطرد  
المحتل.

ومن المحتل؟

مؤلم أن يكون أخاك.

أن يكون عربي مثلك.

بلاد العرب أوطاني، كان يردها مرجان وأهل غربستان، بل  
كل أهل شرقستان كذلك، لكن أين هي على أرض الواقع؟

بل هل سيبقى مسيرهم فوق دربهم عربياً كما كانوا يرددون ذلك  
في نشيدهم الوطني؟

لماذا أفعالنا لا تدل على أقوالنا؟

لماذا حبنا لبعضنا يكون فقط في المؤتمرات؟

أخذ مرجان يكتب في وسائل التواصل عن ذلك ويرفع من معنويات أهل غربستان، ويدعوا على العدو الذي تسبب في مقتل الأطفال والنساء.

يدعوا على شرقستان.

قرأت فيروز الكلام الذي كتبه مرجان عن بلده، وعن غضبه الشديد من شرقستان، مباشرة أرسلت له:

مرجان، لماذا تكتب هكذا عن شرقستان؟

ألا تعلم أنها بلدي.

ألا تعلم كذلك أن شقيقي جعفر يقاتل مع جيشها؟

- نعم أعلم ذلك، لكن ألا ترين أنهم قتلوا أطفالنا؟

- لا يهم.

أنتم مخطئون وتستحقون، والجزيرة التي هاجمناها

كانت تسبب خطرًا علينا.

إن هجومنا هو دفاع عن أرضنا.

- من تقصدين بأنتم؟

نحن؟

كيف نستحق؟

- أين انسانيته التي تتحدثين عنها دائماً؟
- متى كان الأطفال والنساء يستحقون القتل؟
- هم ضحايا الحرب، ولا بد للحرب من ضحايا.
  - إنه تبرير القتل دائماً.
  - أرجوك يا مرجان، إلا بلدي .
  - أنا أحب بلدك يا فيروز، وأنتم جزء منا، وأنا لا أقصد الشعب بل النظام عندكم، وما فعلوه لا يرضي العدو قبل الصديق.
  - مرجان، لا تتحدث هكذا على بلدي، ولا عن مسؤوليه، أحذرك.
  - ماذا تقولين يا فيروز؟
  - أنا لم أخطئ بالحديث، وفي النهاية هو نقاش، لم تغضبين وتحدثين معي هكذا؟
- شعر مرجان بأن فيروز لن تغفر له أي سوء فهم.
- لن تغفر له لو اختلفا في وجهة نظر.
- هو لا يقصد نقاش الحرب لا.
- إنه يرى انفعالاتها معه في بعض النقاشات، فليس ذلك أبداً انفعالاً عادياً.

ليس اختلافاً في وجهة نظر.. لا، هو يرى أنها مستعدة أن  
تخسره أو تضحي به لمجرد اختلاف في أمر، وكأنها نسيت كل  
شيء حتى أنه ابن عمها.

لماذا أصبحت هكذا؟

هل أنا بهذا الرخص عندها تلك السهولة لتضحي بي

هكذا لمجرد نقاش؟

هل سيتكرر سيناريو ما حدث بين والدي رحمه الله

وبين والدها؟

هل أراهن على معرفتي بها؟

على حبها لي؟

عندما لا نستطيع أن نراهن على الحب سيموت يوماً

ما إلى الأبد.

لن يستمر شيء لا نستطيع أن نراهن عليه.

لا نثق بعمقه أو قوته.

لم تغيرت؟

إنها لم تكن كذلك من قبل؟

هل لأنني صرحت لها بحبي؟

لم الاعتراف بالحب لا يرتقي به دائماً؟

هل استغلت حبي لها فبدأت بالمساومة عليه؟

لكنها أخبرتني أخيراً عن حبها.

هل هي صادقة؟

نعم، أنا متأكد من ذلك.

أخذته التفكير، وكذلك أخذت فيروز في التفكير.

لم كان حديثي معه بتلك القوة؟

لم كنت قاسيةً معه؟

هل لتعقد الأمور دور في ذلك؟

هل أصبحت متعصبة لشرقستان مثل أبي؟

هل لأنني أصبحت أمام قرار إما التضحية بكل شيء من

أجل مرجان أو النظر إلى مستقبلي؟

هل فعلاً مرجان هو الشخص المناسب لي؟

عاطفتي تقول نعم، وعقلي يقول لا؟

لم لا تتوافق العاطفة مع العقل؟

لم هما مختلفان دائماً؟

لم يقولون أن العاطفة تخون صاحبها؟

هل لأنها تبتعد عن الحكمة؟

لماذا يصر والدي ووالدتي على أنمار، وهما قد  
عوداني على حرية اتخاذ أي قرار؟  
أعرف أنهما لا يريدان تحقيق مصلحة من ذلك، لكن  
زواجي منه سيحل الكثير من الأمور بالتأكيد.  
هل فعلاً أنمار هو المناسب لي؟  
هل سأندم لو تمسكت بمرجان؟  
هل أخبر أهلي عن ذلك؟  
لم لا أخبرهم فهو ابن عمي؟  
لماذا أنا شرقستانية؟  
لم لم أكن غربستانية؟  
لم لم يكن مرجان شرقستانيًا؟  
لا أريد سوى مرجان، ولا أريد غير ذلك.  
أخذت تفكر وتفكر إلى أن غلبها النوم.

في صبيحة أحد الأيام، وعندما كان مرجان عائداً من صلاة العصر سمع صوت انفجار كبير من ناحية سوق المدينة، فتوجه نحوه مسرعاً، فهو أحد المتطوعين المجيدين للإسعافات الأولية. كان الدخان في كل مكان، وجثث أطفال ونساء ورجال ملقاة هنا وهناك، ولا صوت يعلو على صوت الألم والعيول. في كل زاوية هنالك ألم وأنين يبدأ بالسكون، ليس لأن صاحبه استعاد قواه، لكن لأنه باختصار قد مات. أصوات من كل الزوايا، وأخرى من تحت الأنقاض، والدخان يغطي المكان، ونيران مشتعلة في الجهة اليمنى من السوق. نظر مرجان إلى زملاءه المتطوعين الذين لحقوه إلى الموقع وقال لهم بصوت عال:

اتركوا الجثث الآن واهتموا بنقل الجرحى.  
الجرحى أهم، نهتم بهم وننقذ حياتهم.

توجه الجميع نحو الجرحى.

نحو من به رمق حياة.

لم يبالوا باحتمالية انفجار آخر، فهم قد تعودوا على الحرب.

تعودوا على الألم، وعلى الدماء المتناثرة هنا وهناك.

انشغل مرجان ومجموعته بالجرحى، وانشغل آخرون بإطفاء

النيران، ومجموعة ثالثة كانت تبحث تحت الأنقاض.

كل شيء هنا يدعوا للخوف.

صور مؤلمة ومباشرة يشاهدونها أمامهم، وليس هنالك مجالاً

لعدم تصديقها، أو أنها صور مركبة، أو ليتأكدوا من أن ذلك

كان حلمًا، فأرواح البشر لها الأولوية حتى في أحلام المنامات.

كانت هنالك طفلة صغيرة لم تتجاوز التسع سنوات محتضنةً

حلولى مصاص وقد غطت الدماء ملامحها، وكان بها رمق

حياة.

تبتسم رغم أنينها، وكأن شريطاً من فيلمًا كوميدياً يمر من أمام

عينها أنساها جراحها.

نظر إليها مرجان.

إنها روشان.

توجه نحوها فزدادت بسمتها ونادت باسمه:



## مرجان.. مرجان.. مرجان.

ومدت يدها باتجاهه، لكنها فارقت الحياة قبل أن يصل إليها،  
ومازالت تلك الحلوى تضمها إلى صدرها بيدها الأخرى.

كانت تريد أن تذهب بتلك الحلوى إلى البيت لتتذوقها مع أختها  
جمانة.

وصل إليها مرجان واحتضنها بقوة، وبكى وهو يضمها إلى  
صدره.

بكى مرجان لفراق أخته روشان وجن جنونه.

بكى عندما وجدها وقد غطت الدماء ملامحها.

بكى، ولكنه سرعان ما تركها ليبحث عن جريح آخر، فالوقت  
ليس وقت بكاء.

نعم، ليس هنالك مجال للمشاعر في شعب ماتت عندهم كل  
جماليات الحياة.

أخذ مرجان بانقاذ الجرحى والدموع في عينيه.

طلب منه زميل له أن يجلس قليلاً ويستريح، لكنه رفض  
وواصل عمله.

واصل عمله استشعارًا بمسؤوليته.

شعور مؤلم أن تموت شقيقتك أمامك وتستمر بعملك، لكنهم تجاوزوا مرحلة أن يتأملوا ويتوقفوا من أجل ذلك الألم، فما عاينوه هنا من مآسي تجاوز المعقول وأصابهم بالبلادة، ولو لم يكن الأمر كذلك فلأن ذلك الجريح إنسان قبل أي شيء آخر.

نعم.

ذلك الإنسان الذي لم تحترمه الحروب ولم تجعل له قيمة.

لم تنتظر إليه وإلى ما سيلحق به من ضرر.

لمن ستبقى الأوطان لو ذهب ذلك الإنسان؟

ماذا لو ذهب إنسان اليوم ضحية لتلك الحروب وذلك الظلم، هل سيثق بهذا العالم إنسان الغد؟

ذلك الإنسان الذي قتلت الأوطان آباءه؟

ذلك الإنسان الذي شعر برخص قيمته عند أنظمة تنتظر إليه كأداة لا أكثر، تستخدمه للتصفيات السياسية، لينتهي بعد ذلك كل شيء في حفل يتصافح فيه الزعماء ليعلنوا للعالم انتهاء تلك الأيام وعودة السلام، لكنها بالطبع لم تنتهي في تلك بيوت التي كان أبناؤها ضحية لتلك اللعب السياسية.

بعد أن انتهوا من إسعاف الجرحى وإخراج الجثث عاد مرجان إلى بيته حزينًا وبين يديه يحمل أخته روشان.

يحمل ماضي جميل فقده ولن يعود.

قبل سنة عاد بها من العاصمة تبتسم، وتحمل معها الحلوى لتقتسمها مع أختها جمانة، والآن هي كذلك تبتسم، وببيدها أيضًا نفس الحلوى، لكنها كلها لجمانة، فلن تقتسم معها شيئًا بعد اليوم.

كانتا تتعاركان من يفتح الحلوى ويبدأ بالاستمتاع بها، لكن مع من ستتعارك جمانة اليوم؟

بكي كل أهل البيت، بل وكل أهل الحي لفقد روشان.

غائب آخر يفقده البيت بعد وفاة والدهم قبل عدة سنوات عندما كان في الجيش.

مات والدهم في الجيش من أجل حماية الوطن، وها هي ابنته تموت اليوم في الوطن الذي لم يحميها.

يموت الآباء في الجيش فيوزعون عليهم لقب شهيد الوطن، وعلى أبنائهم أبناء شهداء الوطن في حفل بهيج ليهربوا من تحمل مسؤولية موتهم في الحروب.

يموتون من أجل الوطن، فماذا حدث للوطن بعد موتهم؟

هل نما من جديد ذلك الوطن الذي سقوه بدمائهم؟ أم أن كمية  
الدماء لم تكن كافية؟

عرفت فيروز بالخبر فتأثرت كثيرًا.

نعم.

لقد ماتت ابنة عمها روشان التي لم تراها.

كانت تتمنى لو أنها تحدثت معها ولو لمرة واحدة على الأقل،  
ولامت نفسها لأنها لم تُقدم على ذلك.

هل هي قاسية القلب، أم أن انشغالها بمرجان وبتجارتها  
ودراستها، وبالصلح بين الاسرتين أنساها كل شيء.

لم لم تنتبه؟

لا تنفع الملامة الآن فقد انتهى كل شيء.

أخذت تبكي وحيدة في غرفتها، فلا أحد بالتأكيد سيهتم لتلك  
الأسرة الغريبتانية التي تدعي قرابتها بهم.

مؤلم أن تبكي لوحدهك دون أن يطبب عليك أحد.

أرسلت فيروز في المساء رسالة عزاء إلى مرجان معربةً عن  
حزنها العميق للمصاب الجلل، وأن العزاء ليس لمرجان فقط،

بل ولها كذلك، فهذه ابنة عمها التي لم تراها، وشكرها مرجان  
على حسن مشاعرها.

عم الحزن بيت مرجان والكثير من بيوت المدينة، ففي الكثير  
من تلك البيوت من فقدوا أبًا عائدًا من عمله، أو أمًا كانت تجلب  
أغراضًا، أو ابن، أو ابنة، أو أنهم خلفوا جريحًا بين قد فقد  
عضوًا من جسده.

إنها الحرب التي يدفع ثمنها هؤلاء البسطاء.

مضت الأيام وعم غربستان الهدوء، فقد توصلوا لاتفاق وقف إطلاق النار بعد تدخل الأمم المتحدة وبعض الدول العظمى.

تلك الدول التي شرعت للحرب من خلف الكواليس، لكنها تأتي الآن كحمامة سلام أمام هذا العالم بعد أن ملئت خزائنها بقيمة تلك الأسلحة التي باعتها في تلك الحرب.

إنها تجارة رابحة لن يتخلوا عنها مقابل سلام لن يقاتلوا منه، فالسلام يعني القضاء على سماسرة الدم.

لم يفرح أهل غربستان كثيرًا بما حدث فقد فهموا اللعبة جيدًا.

نعم، هم استراحوا من عناء الحرب ولو قليلاً، لكن الظلم مازال في البلاد، ومما زاد ألمهم أن نُسب إلى سلطانهم قدرته الفائقة على إيقاف الحرب وإدارة المفاوضات، رغم أن العدو ما جاء إلا بسبب إدارته السيئة، وهكذا هم دائماً يصنعون المآسي ثم نمجدهم لأنهم يخرجوننا منها كما يريدوننا أن نظن.

عاد مرجان إلى بيته، وإلى مرسمه.

أخذ يرسم اللوحات يرسلها إلى فيروز.

**ما بك يا مرجان؟**

كتبتها فيروز إلى مرجان بعد أن أرسل إليها صورة لإحدى لوحاته.

- ليس هنالك شيء.
- بلى يا مرجان، لست على ما يرام.
- لست كالسابق يا فيرو .
- أعرف وأرجو أن تعذرنى يا مرجان، فأتا بقدر تفكيرى بكل شيء حزنت كذلك، لأنى لم أتحدث مع روشن أو أكتب لها.
- لا تحزنى فلست السبب.
- سأحاول أن أتحدث مع جمانة بالتأكد، لابد من ذلك.
- بالتأكيد سيكون ذلك.
- أصبحت كذلك حادة المزاج من أمور كثيرة فى حياتى بسبب الكثير من الأمور، وبسبب نقاشات أهلى معى بخصوص الزواج.
- اعذرنى يا مرجان، لكن سأحاول أن يكون كل شيء على ما يرام.
- سأعذرك، ولو لم أجد عذراً سأعذرك أيضاً.
- أشكرك يا مرجان.

كيف حالكم في غربستان؟

- الوضع يزداد سوءًا يا فيروز.
- اصبر يا مرجان، فعدًا أجمل، والله بيده كل شيء.
- أنت مجتهد وتحب بلدك، وستجني ثمرة ذلك لا محالة،  
وأنا متأكدة من ذلك.
- ثق أن الظلم لن يستمر، وستخلصون من نظامكم،  
فالله ناصر للحق.
- ونعم بالله.

يستأنس مرجان كثيرًا بكلام فيروز، ويرى أنها شيء كبير  
بالنسبة له، ويستمد منها ما يعينه على السير في هذه الحياة.  
على مواجهة الصعاب، رغم التغير الذي وجده منها، لكنه  
يعذر لها سريعًا وينسى كل شيء.  
يعذر لها لأنه يحبها، ولا يريد لأي شيء بأن يعكر ذلك الحب.



كم هو مرهق ذلك التوهان الذي يصيبنا ويجعلنا نسير دون أن نعرف حقيقة الطريق، وإلى أين يسير بنا الطريق، وهكذا هي فيروز.

فيروز تلك الفتاة المدللة داخل أسرتها أصبحت لا تعرف ماذا تريد.

تلك الفتاة التي لا يُرفض لها أحد طلبًا، تقف الآن عاجزة عن النطق بأهم طلب في حياتها.

أصبحت تحدث نفسها كثيرًا:

لم يحصل لي ذلك؟

هل الحياة بهذه القسوة؟

لم لم أشعر بقسوتها إلا عندما وصلت إلى النقطة

الفاصلة فيها؟

لم لم تخبرني الحياة بذلك مبكرًا؟

تخبرني بذلك حتى أرسم طريقي جيدًا؟

حتى اختار بشكل جيد، والاختيار هنا ليس الذي

يناسبني، بل الذي لا يسبب لي الألم، حتى أبتعد عن

أولئك الذين ستترك الحياة في قلوبنا جرحًا لن نستطيع  
علاجه عندما تبعدنا عنهم.

لم تجمعنا بهم الحياة طالما أرادت ذلك؟

لم لم تخبرنا أنهم ليسوا لنا، وأنهم عابروا طريق

وليسوا الذين سيسرون معنا في الطريق؟

لم تترك لنا الحياة حرية اختيارهم من البداية ثم تخبئ

لنا المفاجآت؟

لم نقاسي الطريق حتى نموت، أو نصل منهكين؟

لم لا نصل إلا بعد أن نتألم؟

إلا بعد أن نعاني؟

لم الحياة هكذا؟

سأتحدى الحياة، كم أتمنى أن أقوى على ذلك.

تمضي الأيام سريعًا وتقترب فيروز من التخرج.

إنها فترة بسيطة وتنتهي من مناقشة رسالتها، ثم تحصل على درجة الماجستير.

تمنت فيروز أن ترفع من درجتها حتى تستطيع أن تحصل على منحة دراسية لإكمال الدكتوراه في التجارة في نفس الجامعة، فهي تؤمن بأن الخبرة التي تكتسبها في حياتها العملية لا بد وأن تصقل بالعلم، فطموحها ليس متجرًا إلكترونيًا أو دكانًا على الشارع العام، بل اسمًا كبيرًا في عالم المال والاقتصاد.

كانت مرحلةً دراسيةً صعبة، خاصةً وأنها لم تكن تريد أن تهمل تجارتها، فكان لابد من متابعتها باستمرار.

كان يصيبها الإرهاق دائمًا.

كان يظهر عليها ذلك الإرهاق، فكل شيء في جسدها يقول أنها متعبة.

اقترح عليها والدها أن تترك المتجر ومتابعته، وتتفرغ لما تبقى من دراستها، وهو سيكفيها مصاريفها الدراسية إلى أن تتخرج،

وكيف لا يفعل ذلك وهو والدها الذي رعاها منذ أن كانت جنيناً في بطن أمها.

لم يكن الأمر بالنسبة لفيروز يتعلق بتغطية النفقات الدراسية أو مصاريفها الخاصة، بل هي خطوات لا ينبغي لها أن تتوقف عنها تحت أي ظرف كان نحو تحقيق حلمها التجاري. نحو مستقبلها، واسمها الذي تحلم أن تبنيه.

كانت تعرف أنه من الصعب الجمع بين متجرها ودراستها، لكنها تؤمن أنها إذا لم تستطع مواجهة الصعوبات الآن والتعامل مع الظروف الحرجة فلن تستطيع الوصول إلى القمة، وما القمة في نظرها إلا طريق منحدر لا بد من صعودها.

لا بد من أن تواجه الصعاب إذا أرادت أن تنجح، ولو توقفت عند كل أمر صعب فلن تصل أبداً، وسيكون ذلك فشلاً بالتأكيد.

عرض عليها مرجان الإشراف الكامل على حسابها الإلكتروني ومتجرها، لكنها فضلت أن تسلمه لشقيقة صديقتها جيهان.

استغرب مرجان من ذلك، وهو الذي كان يتوقع أن تسلمه المتجر دون تردد، لكنه احترم رغبتها بصمت، ولكن تفكير فيروز لم يصمت:

لم لم أوافق على اقتراح مرجان بتسليمه تجارتي؟  
هل بدأ عقلي يتغلب على عاطفتي؟  
هل أصابني شيء؟  
أنا أعني الاستقرار والمستقبل الهادئ لي ولعائلتي،  
بينما مرجان هو الشتات.  
لم سمحت لمرجان بدخول حياتي؟  
صحيح هو ابن عمي، لكن لماذا بهذا العمق؟  
لست مسؤولة عن إصلاح الأمور التي بيننا، فلدي  
أمور أهم.  
كذلك لست مسؤولة عن إصلاح ما بين أبي وبين عمي  
أيضاً.  
ماذا دهاني؟  
لم يكن سبب أنه ابن عمي هو الذي جعلني أحبه، بل  
كان ذلك لذاته، لكن ذلك لن يكون شفيحاً له بالتأكيد.  
ألا يكفي الحب ليشفع له؟  
لم لم أركز على تجارتي معه و التجارة فقط.  
هل أصاب والدي؟  
هل كان يري والدي ما لا أراه عندما تشاجر مع عمي  
نيروز؟

بالتأكيد هي مرحلة لم أحضرها، فكيف لي أن أصدر

حكمي عليها؟

لماذا أقول ذلك الآن؟ هل تغيرت؟

مالذي يحدث لي بالضبط، هل أنا تائهة؟

أخذت تفكر، ثم أمسكت هاتفها فجأة وكتبت رسالة إلى مرجان

دون أن تشعر:

مرجان ..

لم نعد نعرف إلى أين يسير بنا الطريق؟

نسير في طريق مجهول ونحو المجهول.

تتحاشى النظر إلى جانبي الطريق الموحشة، وإلى الإرشادات، وإلى  
وجوه السالكين الذين لا يشبهوننا حتى لا نشعر بأنه ليس الطريق الذي  
يناسبنا، ولن أقول الذي نريد، ورغم ذلك نسير بصمت حتى لا نصدر  
ضحيجًا ونلفت الانتباه فنؤمر بالعودة ونتظاهر بها، لكننا نعود لنكمل  
المسير لنفس الطريق من فرع آخر، ونسلي أنفسنا بأن كل الطرق تؤدي  
إلى روما، ولا روما؟

بل ولا نحن ..

التوقيع

فيروز

قرأ مرجان رسالتها فتأثر بها كثيرًا، وعرف أن فيروز لم تعد فيروز.

قرأ رسالتها، ثم كتب لها مباشرة:

فيروز ..

هل أتعبنا الطريق أم فقدنا الزاد؟

ما نشاهده أثناء الطريق يا فيروز لا يعبر أبدًا عن نهايته.

نسير في الطريق فنشاهد المروج الخضراء، ثم نشاهد الصحاري القاحلة، ونحن نعرف أننا سنشاهدها في طريقنا ولا نبالي بها، ولا نتردد عن مواصلة الطريق، لأننا ما سرنا في الطريق إلا لأجل نهايته لا لأجل ما نمر به من خلاله.

ثقي أن جمال الطريق بما نملك من زاد ليعيننا على المسير، وليس فيما نشاهده ونحن نسير.

ثقي كذلك أننا سنصل مبتسمين بقدر قوة ما نملك من ذلك الزاد رغم قبح ما نشاهده في طريقنا.

التوقيع

مرجان

قرأت فيروز رسالة مرجان و سرحت بفكرها بعيداً.

أخذت تفكر وتفكر.

أخذت تتأمل وتنظر إلى نفسها في المرأة، ثم سألت نفسها:

هل سيكفيني الزاد للوصول، أم سأكون جثة هامدة في الطريق

قتلها الجوع؟

وعندها لا رجوع.



مضت الأيام، وعادت المشكلات من جديد بين شرقستان وبين غربستان، ولأن مدينة خير آباد مطلة على البحر فهي بذلك النقطة الأقرب إلى شرقستان، وعلى ذلك لم تسلم من قاذفات شرقستان بحكم أنها الهدف الأقرب لها.

تهدمت الكثير من البيوت في الجزء الشرقي منها على ساكنيها دون اعتبارات لوجود البشر، فمات وجرح الكثير منهم.

كم هو مؤلم أن ينهار بيتك أو جزء منه أمام عينيك.

خاف سكان المدينة من أن تصل القاذفات إلى بقية أجزاء خير آباد، بل كان ذلك، فبين فترة وأخرى تأتي قذيفة باتجاه الجزء الغربي أو الجنوبي منها .

نعم، فمن سيحميهم من قاذفات تأتي من الأعلى، فقد جين العدو من النزول إلى الأرض؟

إنها معاناة أخرى تضاف إليهم ولا بد من الفرار.

كان ترك المدينة هو الحل، وكم هو مؤلم ذلك الحل.

كم هو مؤلم أن يتركوا بيوتهم وممتلكاتهم، ولا يعرفون، هل سيعودون إليها مرة أخرى أم لا؟

هل سيجدونها كما هي، أم أنها ستسوى بالأرض؟

كان وداعًا مؤلمًا لهم.

ودعوا بيوتهم وممتلكاتهم وذكرياتهم.

ودعوا قبور أسرهم التي كانوا يزورونها ويأمنون بها.

لحظات لن ينسوها، وكم هي الأشياء التي لن ينساها أهل غربستان، والتي تركت في أعماقهم آلامًا كثيرة.

تركت الأسر المدينة، وسارت باتجاه العمق.

كلما اتجهنا إلى العمق كنا في مأمن، فالعمق دائمًا هو النجاة.

هو الأصدق، وما كان سطحيًا سيذهب مع الأيام ويتلاشى لا محالة.

أن تترك مدينتك ليس بالأمر الهين.

ليس من السهل، فهي الأمان، وهي الملجأ.

هي السكنية التي نبحث عنها، وهي القرار.

مضت الأسر وهي لا تعلم إلى أين تتجه، فقط سمعوا أن هنالك مخيمات ستكون بانتظارهم.

هناك.. لكن لا يعرفون إلى أين.

الأطفال فقط هم من كانوا سعداء.

## سنذهب إلى المخيمات.

هكذا كانوا يرددون بفرح، ولم يعلموا ما هي المخيمات.

بالتأكيد هي ليست نزهة، لكن من سيخبرهم بذلك؟

من سيخبرهم أنهم ذاهبون إلى مستقبل لا يعرفون عنه شيئاً؟

كم سيمكثون؟

ساروا أفراداً وجماعات، يحمل كل منهم، كبيرهم وصغيرهم، ماستطاع حمله من ملابس وأغطية وطعام، وبالطبع يحملون كذلك معهم الألم.

بالتأكيد لم يحملوا معهم الأجهزة الكهربائية، فهم متأكدون من أنهم لن يكونوا بحاجةها، فهم لم يستخدموها كثيراً في مدينتهم بسبب الانقطاع المتكرر للكهرباء، فكيف بالمخيمات؟

كان منظرهم يثير الشفقة وهم هاربون من بيوتهم.

نعم هربوا من تلك البيوت التي كانت لهم كل شيء.

كانت رأس مالهم.

كانت لهم الحياة.

ساروا مسافة بعيدة من بداية الصباح إلى أن وصلوا قبل غروب الشمس.

في تلك البقعة التي بها أشجار مترامية كانت المخيمات.

نعم، إنها الملاجئ بكل آلامها تحيط بها العزلة من كل مكان،  
وكم كانوا بحاجة إلى تلك العزلة.

نعم، لا يريدون أن يلتقوا بأحد، فيكفيهم ما أصابهم، فما زادتهم  
المدينة وحياة المدينة إلا المأ.

كانت المخيمات بانتظارهم، وكان لا بد لهم من أن يشكروا  
سلطان البلاد على الهواء مباشرة لسماحه لتلك المنظمات  
الإغاثية بتوفير المخيمات لهم.

وصلت تلك الأسر إلى موقع المخيم، وكان في استقبالهم  
متطوعون أدخلوا كل أسرة إلى خيمتها.

خيمة بها بعض الفرش، وبرميل ماء ودافور صغير للطبخ لا  
يعرفون هل سيتم تعبئته بالغاز حال نفاذه أم لا.

لم يتم إدخال الكهرباء للمخيم، فالمواتير لم تصل بعد، ولذلك تم  
إعطاء كل خيمة كشاف صغير.

في وسط تلك المخيمات يوجد بئر صغير لجلب الماء، كذلك دورات للمياه، وخيمة طبية صغيرة.

حياة أخرى عاشتها تلك الأسر، ولن نقول جديدة، فلم يتغير عليهم شيء سوى أن جدران بيوتهم تحولت من الطوب إلى القماش.

مؤلم أن نهتم بتلك الجدران.

أن نهتم بنوعيتها، فلن يحمينا غيرها.

هي الوطن، ولا وطن خارجه.

مؤلم أكثر أن نخشى كذلك من تلك الجدران، ومن أن لها آذان.

ماذا يظنون أننا سنقول خلف تلك الجدران؟

هل سنمدح ظلمهم؟

هل سنسبح بحمدهم؟

هل سنشكرهم على فقرنا؟

لم يخبروننا بأن ذلك قسمة الله لنا، ولا يخبروننا أن الله عدل وجعل بعضنا لبعض سخرية، ولو كنا كذلك لأخذ كل منا نصيبه.

مؤلم كذلك أن يحضر الشيخ آزاد إلى المخيمات، لكن ليس للسكن معهم، فقد انتقل لمنزل كبير في العاصمة عند بداية القنف، ولكنه حضر ليخبرهم بأنهم أفضل من غيرهم ممن لا يملكون مأوى، وأن سلطان البلاد رغم انشغالاته لم يتركهم للعراء.

كم تمنوا أن يكون الشيخ علي بينهم.

ما هو مؤلم كذلك أن الشتاء قد اقترب، فلم يتبقى عليه إلا شهر ونيف، وكم هو جميل ذلك الشتاء، لكن ليس هنا ووسط هذه الظروف.

فصل الشتاء هو العدو الآخر لتلك الأسر رغم أن الأطفال ينتظرونه على أحر من الجمر، لكنهم لم يجربوه بعد في هذه المخيمات.

مؤلم أن لا تتمنى سقوط المطر.

أن يخيفك صوت الرعد.

أن تتألم من تساقط الثلوج، بل وتخاف من اشعال النار حتى لا يحدث حريقاً واحداً، فيكون كافياً للقضاء على المخيم، وهكذا هي الحياة في المخيمات.

تم تأجيل المدارس، ولا مدارس سوى مدرسة الحياة.  
سوى مدرسة الملاجئ بقسوتها.  
ولم يدرسون؟

هل سيتوظفون أو يبنون مستقبلهم؟  
من سيكفل لهم ذلك المستقبل؟

سيكون المستقبل أجمل، لم لا نصنع فصول دراسية  
في هذه المخيمات؟

كلمات قالها مرجان عندما كان وسط شباب المخيم، وأيده الكثير  
منهم .

نعم ليكن ذلك، ولتساعدنا الفتيات في عمل فصول  
أخرى للبنات.

لن يتوقف العلم برغم كل شيء، فمهما يكن لابد من  
صنع جيل الغد.

لنعلمهم كيف يكونوا أحرارًا، وكيف يصنعون غدهم.

وكان ذلك..

تم تجهيز خيمتين واحدة للبنين، وأخرى للبنات للتعليم في وسط المخيمات وإن كانت بسيطة، وبفترات موزعة لكل مرحلة دراسية، وإن كانت غير معترف بها رسميًا من قبل الحكومة، فالدراسة معطلة بأمر منهم، وبسبب الحرب، ومتى اعترفت الحكومة بإنسانيتهم حتى تعترف بتعليمهم، ورغم ذلك سعوا لذلك من أجل أن تكون رسمية حتى لا تضيع السنوات عليهم.

حياتهم أشبه بدورة عسكرية لمدنيين نساء و أطفال.

لكهول لم تقتنع الحياة بأنهم تعلموا منها الكثير، برغم كل ما عانوه، فأحضرتهم للملاجئ ليتعلموا الحياة من جديد.

كانوا يقتاتون من المساعدات التي تأتي إليهم من منظمات الإغاثة.

مؤلم أن تنتظر من يساعدك.

أن يتعود الأبناء على الوقوف في الطوابير من أجل الحصول على الطعام.

شعور مؤلم، فقد ربوا أبناءهم على العفة وعلى الإحسان للضعفاء وها هم اليوم ضعفاء.



حاولت بعض الأسر أن تتبع ما تستطيع عمله في المخيمات ليعيدوا ذكريات ذلك السوق الذي عاشوا فيه أجمل أيامهم، لكن ذلك لم يفدهم، فليس لديهم مواد خام يصنعون منها ما يبيعونه.

سمعوا أن باب الهجرة إلى أوروبا وإلى بعض الدول العربية قد تم إغلاقه خلال هذه الفترة للغربستانيين دون غيرهم، وأن منظمات اللجوء لم تعد تستقبل طلبات الغربستانيين لأسباب يقولون أنها بسبب الاشتباهاة، أو أن الحرب ليست في كل مناطق غربستان، وأحياناً يبررون ذلك بقلة الدعم الذي يصلهم.

حاول البعض الهجرة بطريقة غير شرعية، لكن تلك مغامرة كبيرة غير محمودة العواقب، و أن الانتظار هنا أفضل لهم، فلعل باب الهجرة يُفتح من جديد كما حدث ذلك مرات عديدة.

أخذ البعض يفكر بالذهاب إلى العاصمة وترك أسرته، لكن كيف ستركهم في العراق؟

تطوع البعض ليذهب إلى العاصمة نيابة عن غيره مقابل اقتسام المال الذي سيكسبه من هناك مع أخيه أو قريبه الذي سيبقى لرعاية الأسر.

كان حلاً جيداً، لكنه مؤلم، وكل شيء هنا هو مؤلم.

اشتغل البعض بزراعة المناطق الواسعة حول المخيمات لتوفير بعض الخضروات، وكان حلاً جميلاً ساعدهم على التأقلم مع حياتهم الجديدة.

كل تلك حلول مؤقتة فقط ليعيشوا، ليكذبوا بها على أنفسهم.

لم نكن نعرف أن المخيمات ستكون كذلك، لم لا نعود إلى المنزل؟

كان هذا هو حال لسان الأطفال هنا، فلم تكن المخيمات كما كانوا يتوقعون.

يا ترى كيف سيكون حال هؤلاء الأطفال الذين عاشوا المخيمات وكل تلك المآسي في المستقبل؟ كيف سينظرون إلى وطنهم؟ هل سيقفون فيه؟ أم أن حلم الهجرة سيسيطر عليهم؟

كيف سيكون حالهم وهم يرون التغير الكبير الذي طرأ على أبناء عمومتهم الذين هاجروا قبل سنوات، وجاءوا الآن إلى زيارتهم؟

بل كيف سيكون حالهم و هم يرون أن الفاسدين هم من أصبح لهم فيه مكاناً؟ هل سيرون جدوى العلم ليقاوموا، أم سيسلكون طريق الفاسدين ليعيشوا؟

بعد فترة بدأ مرجان بالاستعداد لترك أهله في ذلك المخيم، فلا بد له من أن يعود للالتحاق بالجيش مرة أخرى، فالوضع أسوأ من السابق بالتأكيد، وبينما هو كذلك أرسل رسالة إلى فيروز يخبرها بذلك، فلجنة الحرب، ولجنة شرقستان غيرت حياتهم هنا في غربستان.

ما إن قرأت فيروز تلك الكلمات التي كتبها لها مرجان بحق شرقستان حتى انفجرت فيه كالمرّة الماضية:

إلا بلدي يا مرجان، قد قلت لك ذلك سابقاً ألا تفهم؟

- وماذا قلت؟

لو حضرت إلى هنا ورأيت بنفسك ما يحدث لنا لتغير كلامك.

لقد أصبحنا نعيش في الملاجئ.

أختي ماتت بسبب هذه الحرب و التي لم تفرق فيها جيوشكم بين ثكنات عسكرية وبين أسواق يحضرها المدنيون للشراء.

أمي تعاني من الأمراض.

الناس هنا لا يجدون طعاماً.

- لقد كنا شعبًا واحدًا، لكنها أطماع البشر.
- لسنا شعبًا واحدًا.
  - لنا ثقافتنا الخاصة.
  - لنا عاداتنا.
  - نحن لسنا أنتم.
  - أنتم شعب همجي، ونحن نريد أن نتطور وأن نكون.
  - فيروز، لماذا تتحدثي بهذه الطريقة؟
  - أرجوك يا مرجان، لا تتجاوز في الكلام.
  - ولكن يا فيروز.
  - ما الذي استفدناه عندما كنا وأنتم شعبًا واحدًا؟
  - أرجوك، لا تتحدثي بهذه الطريقة، ولنغلق الحديث الآن، فقد تحدثنا سابقًا عن ذلك.
  - أنا لا أتشرف بكم، لكنني أحترمك أنت فقط من كل شعبي.
  - أنا واحد من شعبي.
  - لنغلق الموضوع الآن.
  - هذا أفضل.
- صمت مرجان وانتهى الحدي.

صمت و ما عساه أن يقول.

فعلاً لم تعد فيروز هي فيروز.

لم تعد فيروز تلك الفتاة التي لا تريد لأي شيء أن يُعكر على  
علاقتها بمرجان.

حتى لو كانت تحت ضغوط، فهناك أمور لا ينبغي أن تصل  
إلى هذا المستوى من النقاش، وبينما هو يفكر إذ جاءتته رسالة  
من الجيش تخبره أن موعد حضوره للمعسكر سيكون في مطلع  
الشهر القادم.

مضت الأيام وتخرجت فيروز، وحصلت على درجة الماجستير.

مبارك عليكِ الماجستير.

كتبها مرجان وأرسلها إلى فيروز فور رؤيته لصورة شهادة الماجستير التي حصلت عليها من الجامعة على حسابها في الانستغرام.

- أشكر لك تهننتك يا مرجان، وأريد إخبارك بموضوع هام.

- وما هو يا فيروز؟

- لم أعد أرغب ببيع لوحاتك.

ستتغير سياسة المتجر، وسأتوقف عن بيع اللوحات، لأنني سأكتفي ببيع التحف.

- ولم؟

- هكذا، قد انشغل عن المتجر الإلكتروني قليلاً، وكذلك عن دكاني هنا في شرقستان.

- ولكن نستطيع أن ندير أعمالنا، خاصة وأنها عن طريق الأنترنت، وبالنسبة لدكانكِ فله حلول عدة، وسيكون كل شيء على ما يرام.

- نعم أعرف، ولكن لا أستطيع.
- لعلك متعبة الآن، نتحدث لاحقاً.
- قد انشغل مساءً، وقد انشغل كذلك غداً، ثم قد أتزوج من ابن عمي أنمار في منتصف ديسمبر القادم، وقد أترك حساباتي في وسائل التواصل وأرقامى لصديقة لي كي تديرها مع المحل.
- ستبقى ابن عمي رغم كل شيء.

هنا صمت مرجان.

صمت مرجان ولم يستطع إكمال حديثه مع فيروز، وفي المقابل ألقت فيروز بهاتفها على الطاولة وارتمت على سريرها وأخذت تفكر.

هل ما فعلته كان صحيحاً مع مرجان؟

لقد كنت قاسيةً معه؟

هو لا يستحق كل هذه القسوة، لكن كان لابد من ذلك.

نعم، لابد.

لم قلت له أنني سأتزوج من أنمار في منتصف ديسمبر

القادم؟

لقد رفضت ذلك عندما تحدثت مع والدي مساء  
البارحة، وأغلقت الموضوع نهائياً معه.  
لكن مرجان لا يناسبني.  
من الصعب الاستمرار معه.  
قد أخسر أهلي بسبب ذلك.  
هم لا يريدونه.  
هو شاب جيد وخلق.  
هو وسيم كما سمعت عنه.  
نعم نلتقي روحياً.  
نعم نتفق في الصفات، لكن ظروفنا ليست واحدة.  
من الصعب أن أكون له ويكون من نصيبي.  
لديه الكثير والكثير من الأمور التي ينبغي له أن  
ينهيها أولاً إذا أراد أن يعيش بعد ذلك.  
غربستان.  
سكنهم في الملاجئ.  
وضعه السياسي.  
كلها أمور تشير إلى عدم استقراره.  
سأعاني معه بالتأكيد.



هل سيقبل أن يأتي إلى شرقستان ليعيش معي، وينسى

كل شيء عن غربستان؟

ماذا عن أسرته؟

لماذا لا يحضرهم إلى هنا؟

لا، لا، لا ينبغي أن أهتم بمرجان فهو صفحة وانطوت.

إنه لمن العقل أن أغير من حياتي، ومرجان بالنسبة

لي مرحلة لا بد لها وأن تنتهي، فالحياة محطات.

لكن ماذا عن حبنا؟

أقصد عن حبه؟

ليذهب الحب.

وماذا سيفعل الحب؟

هل سيحل له مشكلاته؟

يستطيع أن يكون ويتطور دون أن أكون معه.

وماذا لو تطور؟

هل تطوره يعني استقراره؟

هل يعني أنه بوضع نفسي جيد، وأنه سعيد؟

كل من تطورا لا يعني أبداً أنهم سعداء في حياتهم.

لكن لماذا لا أضحي إذا كنت فعلاً أريده؟

بل لم لا أضحي هو ويحضر إلى شرقستان؟

التضحية في الحب تكون فقط في الروايات.

هل سيبنى الحب مستقبلي؟

إن العالم الآن يتحدث بلغة القوة ولغة المال.

نعم المال.

الفقراء لا ينبغي لهم أن يعيشوا الحب سوى في

الروايات.

لكن لماذا تغير تفكيري عن مرجان؟

هل انتصر عقلي على عاطفتي؟

هل لكلام والداي سبب في ذلك؟

هل لموقف والدي من أسرته سبب في ذلك؟

هل أعيد التفكير في أنمار وأسعد عائلتي، وأغير من

حياتي ومستقبلي؟

كلمات الحب لا تثيرنا، لكن ما يثيرنا هو ذلك الذي

يقولها، لذلك من الصعب أن أتقبل أنمار كما تقبلت

مرجان.

أخذت تفكر وتفكر إلى أن طرقت عليها والدتها باب غرفتها:

- لم يا فيروز تصرين على رفض أنمار؟

هو شاب جيد وهو كذلك ابن عمك.

- صحيح يا أمي، لكنني أريد أن أواصل دراستي للحصول على الدكتوراه.
- نعم، لا بأس ستواصلين ذلك بعد أن تتزوجي.
- لكنني أريد أن أكمل دراستي في الخارج.
- في الخارج؟! ولم؟
- ومتى قررت ذلك؟
- الآن قررت، فالشهادة في بريطانيا أقوى بكثير.
- ماذا! بريطانيا؟
- نعم يا أمي، سيكون رائعًا لو حصلت على الدكتوراه من هناك.
- فيروز.
- هل فكرت جيدًا؟
- هل تعرفين أبعاد قرارك؟
- نعم أعرف، وفي ذلك الخير الكثير بالتأكيد.
- هل استشرت والدك؟
- سأخبره بالتأكيد.
- فكري يا فيروز فالأمر ليس بالسهل.

تركها والدتها وخرجت، وبقيت فيروز في تفكيرها.

لم قررت السفر إلى بريطانيا؟

لماذا أريد أن أترك شرقستان؟

هل فعلاً مستقبلي سيكون في السفر؟

هل هي محاولة هروب، أم نسيان؟

بالتأكيد ليست للنسيان.

قد يكون الهروب حباً.

هل ما زلت أحب مرجان؟

هل ما زلت متأملة بأنني سأستمر معه؟

أخذت تفكر وتفكر، وفي المقابل لم يستوعب مرجان ما الذي يحدث.

هل صحيح ما يحدث؟

هل من معقول أن تتخلى عني فيروز بهذه السهولة؟

أكاد لا أصدق.

لعلي أحلم.

لم يرد أن يصدق!

أخذ يفكر ويفكر.

لماذا أصبحت هكذا؟  
ما الذي غيرها فجأة؟  
هل حدث شيء مني؟  
ربما تعرضت لضغوط معينة ولم تحتمل.  
ولكن.

في اليوم التالي أرسل مرجان إلى فيروز كعادته كل يوم، ولا  
يدري لم أرسلها رغم ما حدث منها البارحة، ورغم قرارها:  
صباح الخير.

لم ترد عليها.  
يوم، ويومين، ولا ردود.  
حزن لذلك لكنه عذرها.

لربما هي لا تريد لغير أنمار أن يكون في حياتها.  
معها حق.  
كم أنا غبي أن أرسل لها.  
لم أرسلت لها تلك الرسالة؟  
لابد أن أنسى كل شيء.  
نعم.

لقد انتهى كل شيء.

لا يهم أن يكون الأمر سهلاً أم صعباً عليّ، لكن المهم  
أن أتوقف عن ذلك.

نعم .

هذا ما سيكون.

مضت الأيام وجاء موعد ذهاب مرجان إلى معسكر الجيش.

عاد إلى معسكر الجيش، وهذه المرة ليس للتدريب، لكن من  
أجل أن يكون وزملاءه على أهبة الاستعداد، فالحرب ستعود في  
أي لحظة.

إنها خطوة رغم ألمها لكن لا بد منها إن أرادوا الحياة.

ذهب مرجان إلى المعسكر، ولكنه هذه المرة لم يأخذ هاتفه الصغير معه، لأنه لم يعد بحاجة لأن يرسل فيروز كعادته، ليس لأنها تجاهلته وسارت في طريق آخر، لكن لأنه يريد أن يتناسى كل شيء.

هل حقًا سيستطيع؟

هو يتذكرها كل صباح كعادته.

يتألم لأنه لم يرسلها لكنها الحياة.

ولأنها هي اختارت ذلك.

أرادت الابتعاد.

قررت أن ذلك سيناسبها.

من حقنا أن نكون كما نريد لأنفسنا، لكن لا يكون ذلك على عدم تقديرنا لمن أحبنا.

لم لا نفهم بأن الابتعاد أنانية ولا مبالاة بحق من شاركك.

نعم الابتعاد أنانية ممن اختار ذلك مهما كانت الأسباب.

لنرتقي حتى بإهمالنا لهم و رسائلهم، أو حتى عند رغبتنا  
برحيلنا عنهم.

لماذا دائماً يكون رحيلنا مرًا وننسى كل شيء جميل كان في  
سالف الأيام؟

في إحدى الليالي وبينما كان مرجان على فراشه في معسكره  
يستعد للنوم تم استدعاءه من قبل كبار ضباط الجيش.  
ذهب إليهم.

تفاجأ بلوخته الأخيرة التي رسمها وأرسلها إلى فيروز موجودة  
عند مكتب الضابط، وبجواره مهران زميله في العسكرية،  
والذي تقمص دور زبون عربي يقيم في إيطاليا لشراء اللوحة  
من فيروز، دون علمها بحقيقته وبحقيقة ما يخطط له للإيقاع  
بمرجان، والذي دارت حوله الشبهات بكثرة شحناته إلى  
شرقستان.

سأله الضابط:

لمن هذه اللوحة يا مرجان.

- إنها لي وهذا توقيعي.

من أين حصلت عليها؟



- إلى أين أرسلتها؟
  - لقد بعته لزيونة.
  - في شرقستان؟
  - لبائعة في متجر هي ابنة عمي.
  - لقد عرفنا كل شيء.
- أنت متهم يا مرجان بتهريب آثار البلاد إلى الخارج.  
 بل إلى العدو، وكذلك برسم لوحات تعبر عن الحالة  
 السياسية في البلاد وإرسالها إلى جهات خارجية.
- ماذا؟
  - أنا؟
  - نعم، وستتم محاكمتك على ضوء ذلك.
  - أنا لست مجرمًا.
  - هذا افتراء ..
- إنها لوحاتي التي أرسمها وأصرف بثمنها على  
 أسرتي.
- هل لوحة رُسمت حديثًا هي من آثار البلاد؟  
 لو كانت كذلك وترون أنها من آثار البلاد، لماذا لا  
 تعتبرون من رسمها من آثار البلاد وتهتمون به  
 وبأمثاله.

- أسكت.
- لقد كنا نراقبك منذ فترة.
- أنت متهم بالخيانة العظمى للبلاد.
- ولكن.
- ولكن ماذا؟
- لا يوجد تبرير لخيانة الوطن.
- أنا أخون الوطن؟
- عن ماذا تتحدث أيها الضابط؟
- أنا هنا من أجل الوطن.
- تركت الهجرة من أجل الوطن.
- مات أبي مدافعًا عن الوطن، وأختي ماتت بسبب
- الوطن.
- أمي أمرضها الوطن.
- من الخائن؟
- أنا أم من تسبب لهذا الوطن بهذا الدمار؟
- عن من أوصلنا إلى هذا الحال وهذه الحروب؟
- عن من تولى أمرنا ولم يهتم إلا ببقائه حاكمًا وليذهب
- الشعب؟
- ماذا تقصد؟

هذه تهمة أخرى بحق رموز البلاد ستحاسب عليها يا  
مرجان.

- تهمة أخرى؟

لم لا تجابهون الحجة بالحجة؟

لماذا فقط في وطني تجابه الحجة بالسجن؟

أمر الضابط الجنود بالقبض على مرجان وتحويله إلى السجن  
بعد اتهامه بالخيانة العظمى، وكذلك بتطاوله على قيادات البلد  
ورموزه.

لقد كان الأمر سيئاً عليه.

كيف ذلك؟

كيف يحدث هذا؟

مرجان الذي عشق بلاده وأحبها.

مرجان الذي رفض السفر.

الذي ضحى وقدم كل شيء.

هكذا يتم اتهامه وممن؟

ممن خانوا الوطن أصلاً.

كيف تتغير الموازين؟

نعم هي هكذا، في وطن أصبح لا يعرف من يحبه.

وطن لا يعرف من يعشقه بحق، ومن استغله لتحقيق مآربه.

إنه زمن تغيرت فيه البوصلة بالتأكيد.

ودخل مرجان السجن.

غرفة ضيقة بها ثلاثة فرش وسبعة رجال، كان ثامنهم مرجان.

غرفة كل أحوالها ليل، لا يحضرها القمر، ولا تعرفها النجوم.

سماؤها كأرضها لا يختلفان عن بعضهما، ولا تستطيع التفريق بينهما إلا من الجاذبية التي قال عنها نيوتن أنها أسقطت التفاحة وهنا أسقطت كرامة الإنسان.

غرفة لا تحترم الإنسان.

لا تحترمه، رغم أنه هو من صنعها.

عجيب أمر هذا الإنسان!

كيف يصنع ذلك الإنسان لنفسه شيئاً بهذه القسوة؟

نعم يصنع لنفسه، ألم يصنعها الإنسان للإنسان؟

ألم يكن بالإمكان غير ذلك؟

بعد ساعات أحضروا العشاء لكل المساجين.

لم يكن المساجين متأكدين لمن سيكون ذلك العشاء الذي تم إدخاله إلى الغرفة، هل هو لهم أم هو للفئران التي تشاركهم تلك

الغرفة من فتحة صغيرة، فلا شيء يدل على أن هذا الطعام قد تم إرساله للبشر.

لم يتأكدوا أنه لهم إلا عندما دخل ذلك الجندي مرةً أخرى ليأخذ الأطباق، وسألهم لماذا لم تأكلوا، فمن المؤكد أنه لم يقصد الفرن التي لا تستطيع الحديث مع البشر.

لم يكن سؤاله عن عدم أكلهم لخوفه على صحتهم، بل لخوفه من أن يكون ذلك إضراباً عن الطعام يسبب لضباطه الحرج.

حتى دورة المياه تشاركهم الغرفة، فليس لها مكان آخر غير تلك الغرفة، ولذلك من أراد الذهاب إليها لا بد له من أن ينتظر الآخرين حتى يناموا.

الصمت هو سيد المكان، فلا يسمع إلا القليل من الأحاديث الجانبية، أو صياح سجين يتألم من غرفة التحقيق المظلمة أو الظالمة.

تلك الغرفة التي يدخلها السجين معافى ليخرج منها كبقايا إنسان يتنفس.

يخرج منها فيعود إلى زملائه، أو يذهبوا به إلى غرفة انفرادية ليعيش عزلة في داخل هذه العزلة.

هذه العزلة التي قد تستمر فترات طويلة، فلا يرى فيها أحدًا حتى من أسرته، ولن يبالي بالتأكيد لعدم زيارتهم له بسبب إجراءات الزيارة، والتي قد تهان فيها الأسرة من أجل أن تظفر بمشاهدة سجينها للحظات، رغم تمنيه الكبير لتلك الزيارة.

إنه مكان لا يستطيع أن يتحملة الرجال فكيف بالسجينات اللاتي انتهكت فيه حقوقهن.

إنه عالم خفي يجهله الكثيرون ممن لم يعرفوا عنه إلا أنه مكان لتنفيذ أحكام العدالة، ولم يعلموا أن فاقد العدل لا يعطيه.

سمعت والدة مرجان بالخبر، فتأثرت كثيرًا لسجن مرجان،  
وماذا تفعل وهي في الملجأ؟

بحثت عن حلول كالمجنونة، فهي تعلم جيدًا معنى أن يكون شابًا  
من غربستان في السجن.  
وأخيرًا وجدت الحل.

حاولت الحصول على هاتف، واتصلت على خالها العميد  
متقاعد حتى يتم إطلاق سراح ابنها.

ماذا تقولين؟

لقد حذرت ابنك عدة مرات.

كم مرة طلبت منه ألا يتدخل فيما لا يعنيه، ويهتم فقط  
بكم وبمستقبله.

ابنك لا يسمع الكلام، ورغم ذلك سأحاول أن أتصرف.

هكذا أجابها خالها عندما اتصلت به.

لماذا نلوم من يتحدث ويطالب بالحقوق؟

لماذا نطالبه بالاهتمام بشؤونه فق؟



بالسكوت ؟

إدًا من سيتحدث لو صمتنا جميعًا؟

من سيقول للخطأ: أنت خطأ؟

بعد أيام خرج مرجان من السجن تحت الكفالة نظرًا لعلاقات خاله الجيدة، بانتظار محاكمته.

نعم، كفله خال أمه، ذلك الرجل الذي ظلم الكثير من أهل حيه، وها هو الآن كفيل ظالم أخرج ذلك الشريف مرجان.

أخرجه وتقمص دور الناصح الذي ينصح ذلك الشريف بما ينبغي فعله، وما هو الصح والخطأ.

إنه النظام المجرم الذي مكن خاله وأمثاله لأن يتصدروا.

خرج مرجان من السجن وعاد إلى بيته.

فرحت أمه كثيرًا بعودته، وكذلك فرحت به جمانة.

كم هي الحرية جميلة وإن كانت معدومة في بلد لا يعترف بها ولا يحترم وجودها.

بعد يومين أخبرته والدته بشأن هروبه من البلاد، فقد اقترح خالها عليها ذلك، لأن مرجان لن يستطيع الإفلات من هذه التهمة، خاصةً في قضية تطاوله على رموز البلاد.

رستم كذلك كان على اتصال مع والدة مرجان، وأخبرها أنه سيرتب له الخروج إلى السويد عن طريق بعض الدول الأوروبية.

كم كان ذلك صعب على مرجان.

لم يكن من السهل أن يخرج، لكن الظروف الآن باتت صعبةً للغاية.

- هل أهرب يا أمي؟

هل أغادر وطني الذي ولدت ونشأت عليه؟

هل أترككم؟

كيف سيكون حالك أنتِ وجمانة؟

- لا تقلق يا مرجان.

أذهب أنتِ إلى أوروبا الآن ورتب أمورك، وسألحق بك  
أنا وجمانة عندما تجد عملاً.

- لكن.

- لكن ماذا يا مرجان؟

- لم لا نبحث عن حل آخر؟

- هل ستحرق قلبي عليك يا ولدي؟

وجودك هنا هو خطر عليك بالتأكيد.

أذهب وصديقك رستم رتب لك كل شيء مع خالي، و  
الذي سيرتب لك طريقة التواصل مع المهرب.

سأمكت في الملجأ، وسأنتظر رسائلك أنا وجمانة يا  
ولدي.

أنتِ أملنا الوحيد بعد الله للنجاة، ولعل ما حدث لك  
سبب أرادته الله لخروجك من البلد.

لم يعد لنا مكاناً في هذا الوطن.

بل ليس هو وطن لنا، فالوطن هو المكان الذي يهتم  
بنا يا مرجان.

- عندما أصل سأتواصل معكم بعد أن أحصل على رقم هاتف جديد للبلد الذي سأستقر فيه، وسأتوقف مؤقتًا عن استخدام حسابات وسائل التواصل.

يا ترى كيف ستعيش هذه المرأة وابنتها وحيدتين في بلد لم يتحمله الرجال؟

كيف سيكون حالهما، وكيف ستمضي بهما الأيام.

إن المرأة عانت كثيرًا في غربستان، كما عانى الرجال تمامًا. عانت الألم والفقر.

عانت الظلم والتعذيب في السجون.

عانت غياب زوجها وابنها وأخيها.

عانت من كل شيء، لكن الأمل بالله وبغد أفضل كان وقودهم جميعًا للصبر، والذي تأخر كثيرًا، والذي قد لا يأتي ولن يأتي، فهكذا شعروا.

بعد يومين أخبره خال أمه بطريقة التواصل مع المهرب، وأين سيلتقي به، ومن ثم سيتولى رستم التواصل مع مرجان عندما يحط قدميه في أوروبا.

بدأ مرجان بالاستعداد للمغادرة، وبقضاء آخر لحظاته المؤلمة  
هنا مع والدته وجمانة.

كم هو مؤلم أن تكون هذه هي نهاية مرجان في بلاده التي  
عشقها وضحي بكل شيء من أجلها.

أيعقل أن تكون هذه نهاية الشرفاء؟

إنها النهاية المنطقية للامنطي في هذا العالم.

التاسعة مساءً، كل شيء ليس على ما يرام، فالليلة ليست  
ممطرة كعادة ليالي شتاء ديسمبر الباردة، ولا الشاطئ تُسمع  
أمواجه كعادته كل مساء، وكأن كائناته هجرته فأصبح هادئًا بلا  
حراك.

وكانه أراد هذه المرة الإنصات إلى شيء ما.

كان هذا البحر أراد الهدوء والانصات لذلك المنهك الذي يجلس  
أمامه مباشرةً، فكان سكونه، حتى يبدأ ذلك الشاب حديثًا يحكي  
فيه ما أصابه.

يحكي ما ألم به في هذه الحياة.

الهدوء لا يعني أبدًا اللا شيء.

هو هنا انتظار لشيء ما.

نعم، هو انتظار ينتظره ذلك الشاب ومجموعة يبلغون تسعة  
وخمسون شابًا آخرين لقاربين يهربون عليهما نحو أوروبا.

يمضي الوقت ثقيلًا عليهم.

ينتظرون بصمت دون أن يتحدثوا مع بعضهم البعض، فالقلق قد سيطر عليهم، وليس أمامهم سوى النظر إلى البحر.  
سوى تأمل سكونه.

سوى الاستماع إلى أمواجه والتي بدأت بالحديث معهم، وكأنها توجه لهم بنصائحها قبل أن يهاجروا.

بعد ساعات، وبالتحديد مع ساعات الصباح الأولى حضر أحد المهربين، وهو ضابط قديم، وفي نفس اللحظة رسى قاربان يحمل أحدهما اسم زارينا والآخر اسم انديا، لنقل الشباب إلى أوروبا.

كان عددهم ستون شابًا توزعوا على القاريين.

صعد الشباب متوزعين على هذين القاريين، وصعد معهم مرجان بعد أن سجلوا بياناتهم بسرعة للمهرب.

عندما بدأ القاربان بالتحرك نظر مرجان بألم إلى بلاده التي سيتركها.

نظر و دموعه سبقت كلماته:

وداعًا أمي.

أعذريني يا حبيبتي.

لم أستطع أن أسعدك .  
لم يكن الأمر بيدي، لقد حاولت .  
أعدك أن أعود، أو أن أحضرك وجمانة عندما أصل  
إلى أوروبا وأعمل .  
وداعاً جمانة .  
أعذريني يا حبيبتي .  
سأفعل كل شيء من أجلك .  
أعدك .  
بلدي .. وداعاً .  
تأكدي أنني لم أخونك .  
تأكدي أنني لم أجنبي عليك .  
تأكدي أنني لم أخرج بإرادتي .  
لقد حاولت .  
حاولت أن تكوني .  
لم أستطع، لكنني سأعود .  
سأعود، وستكونين أفضل .  
أتمنى أن أعود سريعاً .  
أن يتغير كل شيء .  
بلدي .



لقد أحببتك.

قال تلك الكلمات ولم يكملها، فقد حال الموج بينه وبين رؤية  
غربستان، وعندها استدار بجسده نحو شرقستان وقال:

فيروز..

نحن في نهاية شهر ديسمبر، ولعله قد تم زفافك إلى

ابن عمك أنمار.

كنت قد أحببتك.

كنت قد عشقتك.

كنت وطني الآخر.

كنت قد رسمت أحلامي معك.

كنت لي كل شيء.

كنت أنا.

أتمنى لك الخير دائماً، والحياة السعيدة، وبرغم كل

شيء.. أحبك.

قالها وكان سيزيدها لكنه الموج الذي حال بينه وبين النظر إلى  
جهة شرقستان.

نظر مرجان إلى القارب الذي يحمله، وإلى القارب الآخر،  
وكيف أنهما يتحركان بسرعة كهاربين باتجاه أوروبا.

باتجاه المجهول.

نظر إليهما بألم وهما يبتعدان بهم بين الأمواج في عرض البحر  
باتجاه الموت.

نعم باتجاه الموت، فهم لا يعرفون هل سيصلوا وجهتهم أم أن  
القاربان لن يقاوما أمواج هذا البحر، أم ستترصدهم قوات  
بحرية لإحدى البلدان الأوروبية فتحاول إغراقهم قبل أن يصلوا  
اليابسة، وقبل أن ترى ذلك جمعيات حقوق الإنسان.

وهناك..

في مطار شرقستان الدولي.

ذلك المطار الذي يعد تحفة معمارية ليس لها مثيل في دول الشرق، انطلقت رحلة متجهة إلى لندن.

رحلة تحمل معها في مقعد الدرجة الأولى فتاة اسمها فيروز، وبجانبا حقيبة بها أوراق قبولها لمنحة الدكتوراه، والتي تنظر من نافذة طائرة وتتذكر بألم تلك الذكريات الجميلة بكل تفاصيلها.

تلك الذكريات التي تركتها خلفها لتنتقل نحو أوروبا لتحقيق حلمها.

تركتها بحزن:

شرقستان.

أهلها.

غرفتها.

صديقاتها.

تجارتها.

غربستان.

ومرجان.

بل كل ذكرياتها التي ارتسمت في خيالها كان فيها مرجان.

كانت تنظر باهتمام من نافذة الطائرة، وتستمتع بمنظر البحر  
وشروق الشمس.

وفجأة.

وبلا مقدمات.

وفي غمضة عين..

تشاهد فيروز قاريين عليهما مجموعة من البشر، تتراقص بهما  
الأمواج في عرض البحر يمنة و يسرة، في مشهد دراماتيكي  
مؤلم، ليختفيا القاريين من أمام عينيها تارة ويظهران تارة  
أخرى.

حاولت أن تحلق ببصرها لتشاهد أكثر، لكن الموج حال بينها  
وبين مشاهدة تفاصيل أخرى.

تألمت لحالهم ودعت لهم بعد أن دمعت عيناها على مصيرهم،  
ثم أشعلت نفسها بقراءة كتاب أحضرته معها.

## مشهد أخير:

فتاة اسمها فيروز، تجلس في غرفتها الفاخرة، في فندق كامدن  
انتربرايز، في عاصمة الضباب لندن، ممسكة بصحيفة كانت  
في يدها، لتقف على خبر في صفحة الحوادث يقول:

وفي عرض البحر غرق قارب قادم من غربستان يحمل اسم  
زارينا وعلى متنه ثلاثون شابًا هاجروا بطريقة غير شرعية،  
غرقوا وماتوا جميعًا، وهم في طريقهم إلى شواطئ أوروبا،

بينما نجا قارب آخر بأعجوبة يحمل اسم انديا، يحمل ثلاثين آخرين، ونجح بالوصول لسواحل أوروبا.

رجعت بذاكرتها إلى الورااء قليلاً وتذكرت مشهد الطائرة، وكيف أنها شاهدت غرق ذلك القارب بعينها قبل أن يحول الموج بينها وبين القاربين.

تألمت ودمعت عينيها مرة أخرى، ثم سرحت بفكرها بعيداً نحو غربستان، قبل أن يرن هاتف غرفتها ليخبرها موظف الاستقبال بحضور مندوبة الجامعة وانتظارها في بهو الفندق للقائها.



